


الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر1 – بن يوسف بن خدة

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللّغة العربية والحضارة الإسلامية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

السّنة الثّانية ماستر

تخصص: إعجاز القرآن والدّراسات البيانية

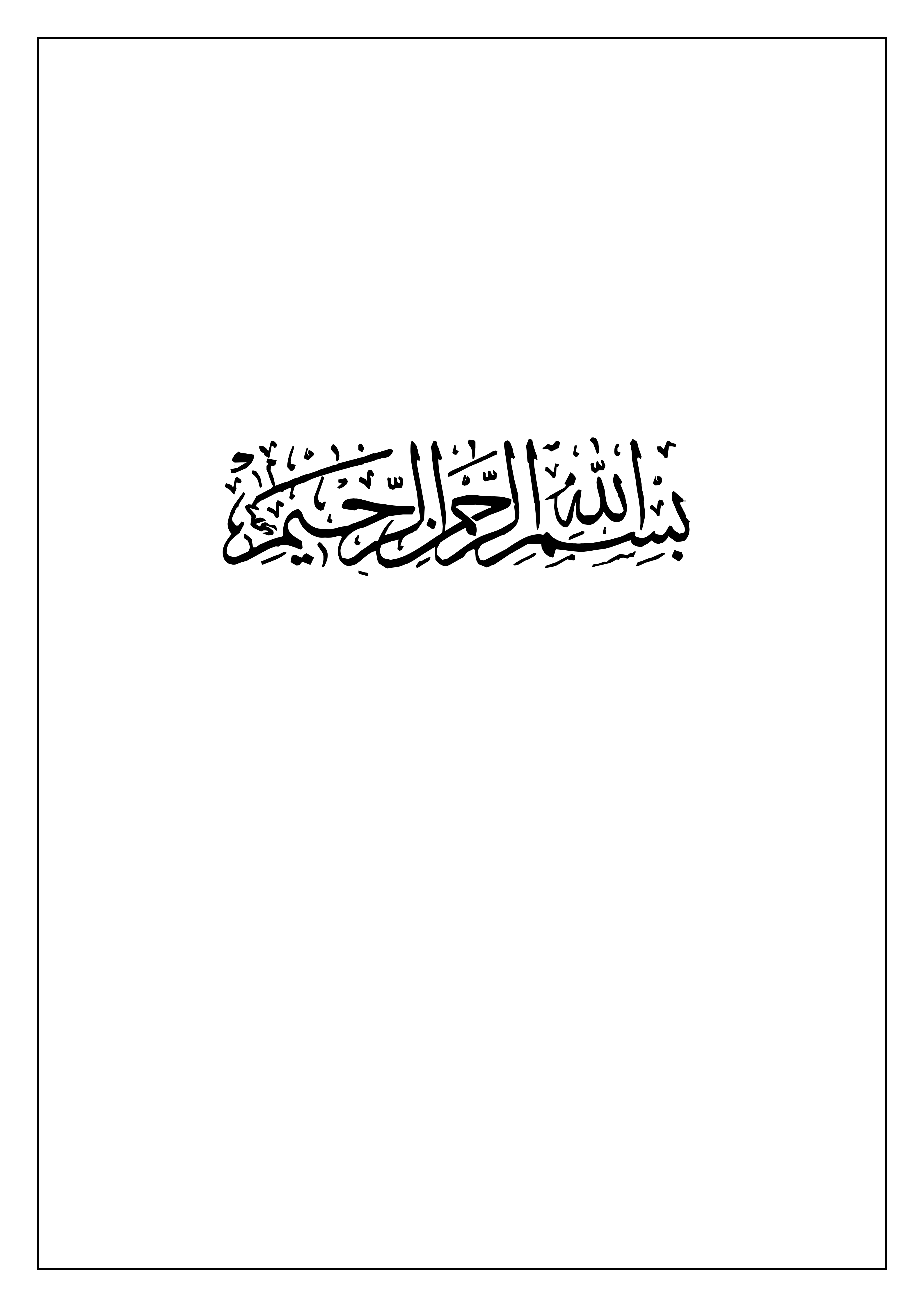
السّداسي الثّالث

الأستاذ: خالد مهدي

السّنة الجامعيّة:

1441هـ - 1442هـ

2020م - 2021م


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الماستر: إعجاز القرآن والدراسات البيانية

السداسي: الثالث

اسم الوحدة: المنهجية

اسم المادة: الإعجاز العلمي

الرصيد: 03

المعامل: 02

أهداف التعليم:

- الوقوف على حقيقة الإعجاز العلمي وضوابطه ونماذج منه.

المعارف المسبقة المطلوبة :

- يكون الطالب المتقدم لدراسة هذا المقياس على اطلاع بمداخل حول الإعجاز.

محتوى المادة:

يشتمل محتوى المادة على ا لعناصر التالية :

* مقدمات
- التعريف بالإعجاز
- التعريف بالإعجاز العلمي
- إرهاصات الإعجاز العلمي
- مجالات الإعجاز العلمي
- آراء العلماء في الإعجاز العلمي

*الكتب التي عنيت بالإعجاز العلمي
- الكتب المتقدمة.
- الكتب المعاصرة.

* قواعد وضوابط في الإعجاز العلمي.
- امتلاك الآلة في علم التفسير، وأهمها علوم اللغة العربية
- جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية القرآنية الكريمة إن وجدت.
- مراعاة القواعد والضوابط في الإعجاز والتفسير العلمي
- شروط قبول الإعجاز العلمي

* نماذج من الإعجاز العلمي
- النماذج المقبولة
- النماذج المردودة
- تقويم الإعجاز العلمي

طريقة التقييم: - امتحان

المراجع: (*كتب،ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ)

من أهم المصادر والمراجع

1- -الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي
2- طبائع الاستبداد ونصائح الاستعباد لعبد الرحمن الكواكبي
3- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي
4- الإسلام والطب الحديث، لعبد العزيز اسماعيل
5- -مفاتيح الغيب للرازي
6- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لعبد الله المصلح، وعبد الجواد الصاوي
7- مواقع إعجاز القرآن الكريم



المحتويات





التّعريف بالإعجاز

الإعجاز لغة واصطلاحا:

أ– لغة: الإعجاز مصدر للفعل الرّباعي (أعجز)، مشتق من (عجز) مثلثة الجيم، والهمزة للتعدية. والمعجزة، اسم فاعل من الفعل أعجز، ومصدره الإعجاز، والهاء للتأنيث.

وتدور معانيها اللّغوية على: مؤخر الشّيء، الضّعف وعدَمُ القُدرَة، عدم إدراك الشّيء، نقيض الحزم.

جاء في كتاب العين: «أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجز نقيض الحزم. وعجز يعجز عجزا فهو عاجز ضعيف».

وقال ابن فارس: «العين والجيم والزّاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضّعف، والآخر على مؤخر الشّيء. فالأول عجز عن الشّيء يعجز عجزا، فهو عاجز، أي ضعيف. وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه. ويقولون: «المرء يعجز لا محالة». ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه... ومن الباب: العجوز: المرأة الشّيخة، والجمع عجائز. والفعل عجزت تعجيزا. ويقال: فلان عاجز فلانا، إذا ذهب فلم يوصل إليه... ويجمع العجوز على العجز أيضا... وأما الأصل الآخر فالعجز: مؤخر الشّيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عجز الأمر، وأعجاز الأمور».

وقال الجوهري: «العجز: مؤخر الشّيء، يؤنث ويذكّر، وهو للرجل والمرأة جميعاً. والجمع الأعجازُ... والعَجْزُ: الضّعف، تقول: عَجَزْتُ عن كذا أعْجِزُ بالكسر عَجْزاً ومَعْجِزَةً ومعجزة ومعجزا ومعجزا بالفتح أيضا على القياس... وأَعْجَزْتُ الرّجل: وجدته عاجزا، وأعجزه الشّيء، أي فاته...والتّعجيزُ: التّثبيط، وكذلك إذا نسبتَه إلى العَجْزِ، وعاجَزَ فلانٌ؛ إذا ذهب فلم يوصل إليه...والمعجِزَة: واحدة مُعجِزات الأنبياء».

ب– اصطلاحا: عُرِّف الإعجاز مطلقا من غير ربطه بالقرآن الكريم أو نبي من الأنبياء عليهم السلام بتعريفات كثيرة، وكان السّبق في ذلك لعلماء الكلام، فموضوع الإعجاز مبحث من مباحث العقيدة يتعلق بطرق إثبات النبوة، ومن جاء بعد علماء الكلام فهو ناقل عنهم ومقلد لهم.

ومن هذه التّعريفات:

1– السّيوطي في الإتقان: «اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتّحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية». وهذا التّعريف هو الذي اشتهر وذاع واعتمد عليه كثير الباحثين، حتى صار كحقيقة مُسلَّمة.

2– وعرفه عضد الدّين الإيجي: صاحب (المواقف) بقوله: «إن حقيقة المعجزة: ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله سبحانه، الخارق للعادة، المقارن لدعوى الرّسالة، متحدى به قبل وقوعه، غير



مكذب، يُعجز من يبغي معارضته عن الإتيان بمثله»[1].

3- وعرفه عبد القاهر البغدادي بقوله: «وحقيقة المعجزة عند المتكلمين؛ ظهور أمر خلاف العادة في دار التّكليف لإظهار صدق نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يُتحدى به عن المعارضة»[2]، وهذا التّعريف سَوّى بين المعجزة والكرامة.

4- وعرفه البلاغي (من علماء الشّيعة ت1352هـ) بقوله: «المعجز هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة، خارقا للعادة وخارجا عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتّعلم، ليكون بذلك دليلا على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته».

5- عرفه الزّرقاني بقوله: «هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله. أو هي: أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه»[3].

ملحوظة: قوله في التّعريف الثّاني: (يخلقه الله) لا يصح إطلاقه، لأنه لا يصدق على القرآن الكريم فهو ليس بمخلوق.

6- وعرفه محمود مُحَمَّد شاكر: «هي الآية الكاشفة عن عجز الخلائق، المبطلة لجميع قدراتهم على مثلها، المبينة عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء في السّماوات والأرض».

7- وعرفه أحمد مُحَمَّد أبو الغيط بقوله: «المعجزة عند علماء العقيدة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة على وفق مراده، تصديقا له في دعواه، مقرونا بالتّحدي، مع عدم معارضته».

إعجاز القرآن:

تعددت أيضا تعريفات (إعجاز القرآن)، إلا أنها تدور في فلك واحد، ومنها:

1- عرفه القاضي عبد الجبار الهمداني (415هـ) في كتابه (المغني في أبواب التّوحيد والعدل) بقوله: «معنى قولنا في القرآن إنه معجز: أن يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله، في القدر الذي اختص به».

2- عرفه الزّرقاني فقال: «إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللّغة: إثباتُ القرآن عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحداهم به»[4].

---

[1] شرح السّنوسية الكبرى، ص351، وينظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، وضع حواشيه: عبد الله مُحَمَّد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2004م، ص96-98، ومقدمة ابن خلدون، ص86.

[2] أصول الدّين، عبد القاهر البغدادي، ص170.

[3] مناهل العرفان، الزّرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط3، ج1ص79.

[4] المصدر نفسه، ج2ص331.



3- وقال نعيم الحمصي: «إعجاز القرآن: هو كونه أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحدٌ معارضته برغم تصدي الناس لها»[1].

4- وقال مناع القطان: «والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرّسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم»[2].

5- وعرفه فهد الرّومي: «هو عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة، وتوفر الدّواعي، واستمرار البواعث»[3].

مادة (عجز) في القرآن الكريم:

لم ترد كلمة (إعجاز) ولا (معجزة) بمعناها الاصطلاحي في الاستعمال القرآني، ولا وصف القرآن بالإعجاز، وكذلك في حديث النبي ﷺ وكلام الصّحابة ﷺ والتّابعين، وإنما استعمل في معناها: الآية، والبينة، والبرهان، والسّلطان، والحجة... وقد وردت مشتقات مادة (ع ج ز) في ستة وعشرين موضعا في كتاب الله تعالى:

1- **أعجزت**: في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾[المائدة:31].

2- **نعجز**: في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴾[الجن:12].

3- **ليعجزه**: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[فاطر:44].

4- **يعجزون**: في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾[الأنفال:59]

5- **عجوز**: مثل: ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾[هود:72].

6- **عجوزا**: ﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[الشّعراء:171].

7- **أعجاز**: مثل: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾[القمر:20].

8- **معاجزين**: مثل: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[الحج:51].

9- **بمعجز**: في قوله تعالى ﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الأحقاف:32].

10- **معجزي**: مثل: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ [التّوبة:2].

11- **معجزين**: مثل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[هود:20].

12- **بمعجزين**: مثل: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾[النحل:46].

---

[1] فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ط2، 1400هـ-1980م، ص6.
[2] مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ-2000م، ص265.
[3] دراسات في علوم القرآن،



نشأة مصطلح الإعجاز والمعجزة:

لم يُعرف إطلاق مصطلح (معجزة) على الأمور الخارقة التي تظهر على أيدي الأنبياء عليهم السّلام إلا في أواخر القرن الثّاني تقريبًا.

كما لم يظهر وصف القرآن الكريم (بالإعجاز والمعجزة) فيما وصلنا من مؤلفات إلا بعد القرن الثّاني، وإن كان قد بدأ الكلام والبحث في موضوع الإعجاز بصورة علمية منذ أواخر القرن الثّاني حيث كان من نتائج هذا البحث؛ القول بالصّرفة، فبالرّغم من كوننا لا نملك تحديدا دقيقا لتاريخ ظهور مصطلح (إعجاز القرآن)، إلا أنه من المؤكد استعماله في نهاية القرن الثّاني وأوائل القرن الثّالث خلال النقاشات التي أثيرت حول الشيء الذي جعل العرب غير قادرين الإتيان بمثل القرآن.

وقد أشار الحمصي إلى أول كتاب أُلِّف مُعنونا باسم (إعجاز القرآن) وذلك حيث يقول: «وأول كتاب عُنون باسم (إعجاز القرآن) فيما نعلم هو كتاب مُحَّد بن يزيد الواسطي (306هـ)، ومن الواضح أنه أُلِّف في أواخر القرن الثّالث من الهجرة أو في مطلع القرن الرّابع، وقد وردت فيه كلمة (معجزة)، ثم أخذت كلمات (آية، وبرهان، وسلطان) تَقِل بعد ذلك في الاستعمال وتحل محلها كلمة (معجزة) في بحث مسألة النبوة وقضية الإعجاز».

شروط المعجزة[1]:

لقد تحدث العلماء في شروط المعجزة، وهم ما بين موجز ومسهب وذلك زيادة في توضيحها وتحديدها، واحترازا من دخول غيرها فيها، وقد عدوا هذه الشّروط أساسية لا بد منها لكي تؤدي المعجزة وظيفتها وتكون دليلا على صدق النبوة، فذكروا عدة نقاط يحسن بنا استعراض أهمها، وهي:

1- أن تكون المعجزة من فعل الله تعالى، أو ما يجري مجرى فعله، وليس للنبي فيها يد وإن كانت قد جرت على يديه.

2- أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل: قال القرطبي: «ومن شروطها أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، وإنما وجب حصول هذا الشّرط للمعجزة لأنه لو أتى آت في زمان يصح فيه مجيء الرّسل وادعى الرّسالة، وجعل معجزته أن يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا الذي ادعاه معجزة له، ولا دالا على صدقه، لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر، وانشقاق القمر وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر».

---

[1] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص11-13.



3- أن تكون المعجزة ناقضة للعادة التي اعتاد عليها الناس، وهذا يفيد أن غير الخارق لا يكون معجزة، كما إذا قال آية صدقي طلوع الشّمس من حيث تطلع وغروبها من حيث تغرب، لأن هذا من الأمور المعتادة، أما مثال نقض العادة: فكما لو قال: الدّليل على صدقي في الرّسالة أن يقلب الله هذه العصا ثعبانا، أو يشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة، أو أن ينبع الماء من بين أصابعي، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات التي ينفرد بها الله ﷻ.

4- أن يستشهد بها مدعي الرّسالة على الله ﷻ: قال القرطبي: «ومن شروطها أن يستشهد بها مدعي الرّسالة على الله ﷻ، فيقول: آيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتا، أو يحرك الأرض عند قولي لها تزلزلي، فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدي به».

5- أن يظهر الأمر الخارق على يد مدعي النبوة أو الرّسالة، فإن لم يكن مَن ظهر ذلك على يديه مدعيا للنبوة أو الرّسالة، فلا يكون معجزة. وقد خرج بهذا الشّرط:

الكرامة: وهي أمر خارق للعادة تظهر على يد الولي غير مقرونة بدعوى النبوة، وذلك كما حدث لمريم عليها السّلام من وجود الرّزق عندها من غير أن يأتي به أحد إليها.

الاستدراج: وهو ما يظهر على يد فاسق أو كافر خديعة أو مكرا به، أي استدراجا لهم وزيادة في غيهم حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون، مثال ذلك: خوارق الدّجال في آخر الزّمان.

6- أن تكون هذه المعجزة مقارنة لدعوى النبوة أو الرّسالة، فلا يجوز أن تكون متقدمة عليها، ولا أن تكون متأخرة عنها تأخرا يعلم أن لا علاقة بينهما. ويخرج بهذا الشّرط:

الإرهاص: وهو ما يكون قبل النبوة والرّسالة تأسيسا لها، كتظليل الغمام لمحمد ﷺ قبل البعثة، وكشق صدره في صغره ﷺ، وككلام عيسى عليه السلام في المهد، فهذه ليست من باب المعجزة، وإنما هي من باب الإرهاص، أي الاستعداد لتلقي الرّسالة من الله تعالى ولتهيئة الناس وتفهيمهم بأن هذا الشّخص سيختاره الله ويصطفيه لنبوته.

7- أن تكون موافقة لدعوى النبوة، وذلك كما لو قال المدعي للرسالة: آية نبوتي ودليل صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل لم يدل هذا الأمر على صدقه في دعواه.

8- أن تتعذر معارضته، أي يتعذر على المتحدى فعل مثله. فلو ادعى شخص النبوة، وأتي بعمل من الأعمال دليلا على صدقه، فظهر من عارضه بذلك، لم يكن ذلك الفعل الذي أتى به مدعي النبوة معجزة، وإنما يكون معجزة عندما يعجز الناس جميعا عن المجيء بمثله، وبهذا الشّرط يخرج ما يلي:

السّحر: حيث يبدو في ظاهره أنه أمر خارق للعادة، ولكنه في الحقيقة ليس كذلك؛ إذ إنه أمر يمكن



تعلم قواعده ومعرفته بالممارسة.

الكهانة: وهي التّنبوء بالمغيبات بالظّن والتّخمين.

الشّعوذة: وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها.

غرائب المخترعات: فإنها ليست من خوارق العادات، وإنما هي أمور عادية تخضع لقواعد علمية يعرفها من تعلمها ويتقنها من مارسها.

ملحوظة:

أ- يرى علماء الكلام أن الدّليل الوحيد على النبوة هو المعجزة، ولابد أن تتوفر فيها شروط وإلا لم تكن معجزة، وأهم شروطها قد لخصها تعريف السّيوطي السّابق، وهي:

1- أنها أمر خارق للعادة، غير جار على ما اعتاد الناس من سنن الكون والظّواهر الطّبيعية؛ ولذا فهي غير قابلة لتفسيرها على نحو ما يجري عاد ة في الحياة.

2- أنه مقرون بالتّحدي، تحدي للمكذبين أو الشّاكين، ولابد أن يكون الذين يُتحدون من القادرين على الإتيان بمثل نوع المعجزة إن لم تكن من عند الله، وإلا فإن التّحدي لا يتصور.

3- أنها أمر سالم عن المعارضة، فمتى أمكن لأحد أن يعارض هذا الأمر ويأتي بمثله، بطل أن يكون معجزة.

ب- إن هذه الشّروط التي وضعها العلماء، غير متوفرة فيما يسمى اليوم بالإعجاز العلمي.

ج- كما أن تعريف الإعجاز العلمي مخالف لمفهوم المعجزة، كما سيأتي.

بين المعجزة ودلائل النبوة:

الدّلائل في اللّغة: جمع دلالة بالفتح والكسر، وهي العلامة والأمارة، يقال: دله على الطّريق يدله دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أعلى. وأنشد أبو عبيد: إني امرؤ بالطّرق ذو دلالات، والدّليل والدّليلي الذي يدلك.

اصطلاحا: دلائل النبوة هي الأدلة التي تعرف بها نبوة النبي الصّادق، ويعرف بها كذب المدعي للنبوة من المتنبئين الكذبة. أو هي كل ما يدل على صدق النبي والرّسول في دعواهما. وتسمى أيضا: أعلام النبوة، أمارات النبوة، علامات النبوة، أشراط النبوة.

ويُطلق بعض العلماء على المعجزات دلائل النبوة، من غير تفريق بينهما، كما فعل عبد الحق الإشبيلي (ت580هـ) في كتابه (معجزات الرّسول ﷺ) ومُحَّد اللّخمي الإشبيلي (ت654هـ) في كتابه (الدّرر السّنية في معجزات سيد البرية) وعبد الرّحمان الثّعالبي (873هـ) في كتابه (الأنوار في آيات ومعجزات النبي المختار)، وغيرهم.



قال ابن تيمية رحمه الله: «والآيات والبراهين الدّالة على نبوة مُحَّد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات)، وتسمى (دلائل النبوة) و (أعلام النبوة). وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودا في الكتاب والسّنة، وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان»[1].

ولعل السّبب في عدم التّفريق بينهما هو أن علامات النبوة كثيرة جدا؛ منها ما هو خارق للعادة ومنها ما ليس كذلك، والخارق للعادة منها ما تُحدي به ومنها ما لم يُتحد به، فلما رأوا أن المتكلمين قصروا تعريفهم للمعجزة على الأمر الخارقة للعادة المتحدى بها فقط؛ عدلوا عن هذا المصطلح لأنه لا يشمل باقي علامات النبوة، فرفضوا شرط التّحدي.

قال الإمام السّهيلي: «... وإن كانت كل صورة من هذه الصّور التي ذكرناها[2] فيها عَلَم على نبوته عليه الصّلاة والسّلام، **غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته**»[3].

ويقول ابن حزم: «إن اشتراط التّحدي في كون آية النبي آية؛ دعوى كاذبة سخيفة، لا دليل على صحتها لا من قرآن ولا سنة صحيحة ولا سقيمة، ولا من إجماع، ولا من قول صاحب، ولا من حجة عقل، ولا قال بهذا أحد قط قبل هذه الفرقة الضّعيفة».

ثم يقول: «لو كان ما قالوا لسقطت أكثر آيات رسول الله ﷺ، كنبع الماء من بين أصابعه، وإطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعَناق[4]، ومرة أخرى من كسر ملفوفة في خمار، وكتفله في العين فجاشت بماء غزير إلى اليوم، وحنين الجذع، وتكليم الذّراع، وشكوى البعير، والذّئب، والإخبار بالغيوب، وتمر جابر، وسائر معجزاته العظام، لأنه ﷺ لم يتحد بذلك كله أحدا، ولا عمله إلا بحضرة أهل اليقين من أصحابه ﷺ»[5].

وفي المعنى نفسه يقول ابن تيمية: «إن عامة معجزات الرّسول ﷺ لم يكن يتحدى بها، ويقول ائتوا بمثلها، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه، ولم يتحداهم به ابتداء، وسائر المعجزات لم يتحد بها، وليس فيما نقل تحد إلا بالقرآن»[6].

ويقول: «إن آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي ﷺ بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي

---

[1] الجواب الصّحيح، لابن تيمية.

[2] يقصد تسليم الحجر عليه، وحنين الجذع إليه.

[3] الرّوض الأنف، ج1ص399.

[4] العناق: الجدي الصّغير.

[5] ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج5ص7.

[6] ينظر: النبوات، ابن تيمية، ج2ص794.



دليل على نبوته وإن خلت عن هذين القيدين».

وفي المقابل فريق من العلماء فرق بين المصطلحين، إلا أنهم لم يحصروا علامات النبوة في المعجزات كما فعل علماء الكلام، بل رأوا بأن علامات النبوة أعم المعجزات، يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: «...ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدّليل غير محصور في المعجزات»[1].

وقال الحافظ ابن حجر في مستهل شرحه لباب (علامات النبوة في الإسلام) من صحيح البخاري: «العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة. والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن يقول: إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق؟، أو يقول من يتحداه: لا أصدقك حتى تفعل كذا. ويشترط أن يكون المتحدي به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها»[2].

وبهذا يتبين أن بين الدّليل والمعجزة عموما وخصوصا، فالدّليل أعم والمعجزة أخص؛ لأنه لا يشترط في الدّلائل التّحدي، فكل معجزة دليل نبوة وليس كل دليل نبوة معجزة.

وهذا القول يجمع بين القولين ويرفع الخلاف. ولعله يزيل اللّبس عن بعض المصطلحات التي ظهرت في عصرنا ووقع خلاف كبير حولها، مثل الإعجاز العلمي الذي هو موضوعنا.

وعلامات النبوة أكثر من أن تحصى؛ لأن العلامة هي الأمارة التي تدل على صدقه ونبوته، وتدخل المعجزات في ذلك، والإرهاصات، والأخبار التي سبقت ميلاده، والعلامات التي حدثت عند ميلاده، وفي طفولته، إلى بعثته بالرّسالة ﷺ. ثم من وقت الرّسالة إلى وقت الهجرة، ثم من وقت الهجرة إلى آخر مغازيه المعروفة وأسفاره المشهورة.

وقد ذكر البيهقي عن بعض أهل العلم أنها بلغت ألفا[3]، وذكر النووي أنها تزيد على ألـف ومائتين[4]. ونقل ابن حجر عن الزّاهدي من الحنفية أنه ظهر على يديه ﷺ ألف معجزة، وقيل ثلاثة آلاف[5].

ودلائل النبوة تنقسم إلى معنوية وحسية، فالمعنوية: كأخلاقه العظيمة، وسيرته الشّريفة، وأقواله وأفعاله وشريعته، إلى غير ذلك، قال ابن تيمية: «وسيرة الرّسول وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته».

---

[1] شرح العقيدة الطّحاوية، ج1ص158.

[2] فتح الباري، ابن حجر ج6ص581-582.

[3] دلائل النبوة، ابن تيمية، ج1ص10.

[4] شرح النووي على مسلم، ج1ص2. وقال ابن كثير: «وقد جمع الأئمة في ذلك ما زاد على ألف معجزة». فصول من السّيرة، ص204.

[5] فتح الباري، ابن حجر، ج6ص583



أما الدّلائل الحسية فهي كثيرة أيضا، وأعظمها القرآن الكريم، ومنها: انشقاق القمر، ونبع الماء بين أصابعه، وتكثير الطّعام، وخطابه الشّجر والحجر والحيوان، وحنين الجذع وشوقه إليه، ورميه بكف من حصى في وجوه الكفار، وإخباره عن الكثير من المغيبات، سواء ما حدث منها قبل بعثته أم بعدها ووقعت كما أخبر بها ﷺ.



تعريف الإعجاز العلمي

الإعجاز العلمي مركب من مصطلحين، وقد سبق تعريف الإعجاز.

تعريف العلم:

في اللّغة: مصدر، وهو نقيض الجهل ويدل على المعرفة والفهم والإدراك واليقين. قال الخليل بن أحمد في كتابه العين: «علم يعلم علما، نقيض جهل». وقال ابن منظور: «والعلم: نقيض الجهل وعلمت الشّيء أعلمه علما عرفته»[1].

وجاء في المصباح المنير: «العلم: اليقين، يقال: علم يعلم إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضا، كما جاءت بمعناه ضمن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقا بالجهل؛ لأن العلم وإن حصل عن كسب، فذلك الكسب مسبوق بالجهل، وفي التّنزيل:﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[المائدة:83]، أي علموا. وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾[الأنفال:60]...».

وفي الاصطلاح:

«وقع خلاف طويلُ الذيلِ في العلم، حتّى قال جماعة: إنّه لا يُحَدُّ لِظهوره وكونِه من الضّروريات، وقيل: لِصعوبته وعُسره، وقيل: غير ذلك»[2].

وقد جمع الشّريف الجرجاني بعض التّعريفات بقوله: «العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. وقال الحكماء: هو حصول صورة الشّيء في العقل، والأول أخص من الثّاني. وقيل: العلم هو إدراك الشّيء على ما هو به. وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه. وقيل: هو مستغن عن التّعريف. وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات. وقيل: العلم وصول النفس إلى معنى الشّيء. وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول. وقيل: عبارة عن صفة ذات صفة»[3].

تعريف الإعجاز العلمي:

ويقصد بالعلم في هذا المقام: العلم التّجريبي، وما يتعلق به من علوم الطّبيعة والكون، مثل: الفيزياء، والكيمياء، والطّب، وطبقات الأرض، وعلم الإحياء، وعلم البحار، وعلم الفلك... وغيرها.

وقد تعددت تعريفات العلماء والباحثين للإعجاز العلمي، إلا أنها تفيد في مجملها أن الإعجاز العلمي

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة (علم)، ج10ص264.

[2] تاج العروس، الزبيدي.

[3] التّعريفات، الجرجاني مُحَمَّد بن علي.



للقرآن الكريم هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التّجريبي الحديث، مع عدم إمكانية إدراكها وفهمها بالوسائل البشرية في زمن نزول القرآن الكريم على الرّسول ﷺ، ومن هذه التّعريفات:

1- تعريف الأمانة العامة لهيئة الإعجاز العلمي: «الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم أو السّنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التّجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرّسول ﷺ مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه ﷻ».

2- وعرفه زغلول النجار بقوله: «هو سبق الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التي لم يتمكن العلم الكسبي من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن»[1].

3- وعرفه الزّنداني بقوله: «...فإن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أو السّنة النبوية المطهرة هو إخبارهما بحقيقة كونية أثبتها العلم التّجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرّسول ﷺ مما يظهر صدقه فيما بلغ عن رب العزة ﷻ»[2].

4- وعرفه غانم قدوري بقوله: «الإعجاز العلمي يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية تتعلق بالفلك أو الطّب، أو علمي النبات والحيوان ونحوهما»[3].

5- وعرفه عبد الفتاح الخالدي بقوله: «أن نعتبر تلك المضامين والأبعاد والإشارات والحقائق العلمية لتلك الآيات، وجها من وجوه الإعجاز القرآني ونسميه الإعجاز العلمي ونضيفه إلى وجوه الإعجاز الأخرى»[4].

خلاصة الأمر أن الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم بحقائق علمية لم يدركه البشر إلا في العصر الحاضر وسبقه بالكلام عنها قبل أكثر من أربعة عشر قرنا مع وجود الوسائل اللّازمة في ذلك الزّمن.

إن هذا المفهوم لا يتطابق مع مفهوم المعجزة وشروطها كما حددها العلماء المتقدمون، وخصوصا في شرطيها: التّحدي وخرق العادة[5]:

- «إن مصطلح الإعجاز منذ ظهر وهو مرتبط بأمرين: بالقرآن الكريم، وبالأمور الخارقة لعادة الخلق

---

[1] حقائق علمية في القرآن الكريم، زغلول النجار، بيروت، دار المعرفة، ط4، 1429هـ-2008م، ص8.

[2] ينظر: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، ص81.

[3] ينظر: محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد، ص249.

[4] البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، ط3، 1992م، ص267.

[5] ينظر: نقد علاقة مفهوم الإعجاز العلمي بمفهوم المعجزة في كتاب: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، زاهر بن مُحَمَّد بن سعيد الشهري، ص155 وما بعدها.



جميعا... التي يجريها الله على يد نبي من أنبيائه؛ لتكون دليل صدق على نبوتهم، أو تأييدا لهم.

والملاحظ أن من أحدث هذا المصطلح راح يُعرفه بتعريف خاص جدا، ينطبق على ما يريد هو، دون الالتّفات إلى تقرير العلماء السّابقين في تعريف المعجزة، فصار نشازا بعيدا عن مفهوم المعجزة كما عرفته القرون من قبلنا».

● وإعجاز القرآن ذاتي في أي سورة من سوره، يدرك قارئه المتضلع في لغة العرب أنه ليس من كلام البشر بمجرد قراءته، ولا يتحقق هذا إلا في الإعجاز اللّغوي والبلاغي، دون سائر أنواع الإعجاز التي يذكرها الباحثون؛ لأنها محصورة في آيات معدودة.

ولهذا طالب الله عز وجل الكفار بالإيمان بمجرد سماعه، ولم يأمر نبيه ﷺ إلا بتلاوته عليهم كدليل على صدقه، وأمره بإجارة من استجار به حتى يسمع كلام الله عز وجل.

قال أحمد أبو حجر: «إن الإعجاز باعتباره مقرونا بالتّحدي لا يتحقق على وجهه الأكمل إلا في الإعجاز البياني؛ لأنه هو الذي يتأتى وجوده في كل سورة من سور القرآن. أما الإعجاز العلمي وغيره من الأوجه الأخرى التي ذهب إليها العلماء، فليست بالأمر العام الموجود في كل سورة، وقد جعل الله سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها فقال: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[يونس:38] من غير تعيين سورة بذاتها، فدل ذلك على ما ذكرنا».

● والإخبار عن شيء يتحقق صدقه أو يكتشف بعد قرون؛ لا يتضمن تحدٍّ ولا يدل على أنه كلام معجز، كإخباره أن الرّوم ستغلِب الفرس في بضع سنين، وتحقق ذلك، فهذا دليل على صدق القرآن فيما أخبر به، وأنه من عند الله ﷻ، وليس دليلا على أن القرآن كلام معجز.

«لذا ينبغي التّنبه إلى أن مفهوم الدّلالة أوسع وأعم من مفهوم التّحدي، فما كل دليل مُتحدى به، **ولا يلزم من دلالة شيء على النبوة أن يكون معجزا**، بل يكفي أن يكون ملازما لمدلوله، سواء كان معجزة أو غير معجز».

وقد قرر ذلك الإمام السّخاوي فقال في كلام يبين فيه حقيقة الفرق بين القول بأن هناك أوجه إعجاز القرآن، وبين دلالات تدل على أن القرآن هو من عند الله تعالى، حيث قال: «لاريب في عجز البلغاء، وقصور الفصحاء عن معارضة القرآن العظيم، وعن الإتيان بسورة من مثله في حديث الزّمان والقديم، وذلك ظاهر مكشوف ومتيقن معروف، لا سيما القوم الذين تحداهم رسول الله، فإنهم كانوا ذوي حرص على تكذيبه، والرّد عليه، وحالهم معه معروفة في معاداته ومعاندته، وإظهار بغضه وأذاه، وقذفه بالجنون والشّعر والسّحر، فكيف يترك من هذه حاله معارضته وهو قادر عليها، ومماثلته وهو واصل إليها، وهو ينادي عليهم بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[الإسراء:88].



وأما ما تضمنه القرآن العزيز من الإخبار عن المغيب، فليس ذلك مما تحداهم به، ولكنه دليل على صدق الرّسول، وأنه كلام علام الغيوب، وكذلك أيضا دلالة حال الرّسول ﷺ في كونه أميا لا معرفة له، ولا يحسن أن يقرأ، ولا وقف على شيء من أخبار الأمم السّابقة، حتى إنه لا يقول الشّعر ولا ينظر في الكتب، ثم إنه قد أتى بأخبار القرون الماضية، والأمم الخالية، وبما كان من أول خلق الأرض والسّماء إلى انقضاء الدّنيا، وهم يعلمون ذلك من حاله، ولا يشكون فيه، فهذه الحال دليل قاطع بصدقه.

ولكن إعجاز القرآن من قبل أنه خارج في بديع نظمه، وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختص بنمط غريب لا يشبه شيئا من القول في الرّصف والتّرتيب، لا هو من قبيل الشّعر، ولا من ضروب الخطب والسّجع، يعلم من قائله أنه خارج عن المألوف، مباين للمعروف، فتناسب في البلاغة، متشابه في البراعة، بريء من التّكلف، منزه عن التّصنع والتّعسف».

وقال أيضا مؤكدا هذا المعنى: «فإن قيل: فهل في إقامته البراهين، وإيراد الدّلائل على الوحدانية بذكر السّموات والأرض، وتصريف الرّياح والسّحاب، وبأنه لو كان فيهما إله آخر لفسدتا، وعلى البعث بإنزال الماء، وإحياء الأرض بعد موتها، وبالنشأة الأولى إلى غير ذلك إعجاز؟.

الإعجاز من جهة إيراد هذه الحجج في الأساليب العجيبة، والبلاغة الفائقة، فهو راجع إلى ما قدمناه من نظم القرآن وإعجازه، وأما كونها براهين قاطعة فهو دليل على صدق النبي؛ لأنه لم يكن من أهل هذا، ولا قومه، ولا يعرف شيئا منه».

- «خرق العادة غير متحقق في كثير من أمثلة الإعجاز العلمي، وبيان ذلك: أن معنى خرق العادة أن يكون الشّيء خارجا عما ألفه الناس وتعودوه في حياتهم، غير خاضع للسنن الكونية، والأسباب المادية والمقاييس البشرية، وكل ما توصل إليه الإنسان بأي سبب من الأسباب العادية لا يعتبر من خرق العادة في شيء، وما ذكر في الإعجاز العلمي ليس هو كذلك إلا في بعض الأمثلة».
- «إن جعل الإعجاز العلمي خارقا للعادة، يخالفه الواقع، فإن العلوم المادية هي في مقدور البشر، ولا يزال الناس يترقون في تعلمها، واكتشاف أسرارها، جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، وما يتوقعه العلماء في مجالات العلوم أكثر مما جاء ذكره في القرآن الكريم، بل إن بعضها أعظم مما أشارت إليه الآيات القرآنية، فهل يصلح على هذا أن ينسب الإعجاز إلى العلم بها، وفي مقدور البشر التّوصل إلى بعضه؟! ».
- «إن جعل بعضهم الإعجاز العلمي خارقا للعادة فيه خلط بين مصطلح المعجزة ومصطلح الاختراع العلمي؛ وذلك أن ما كشف عنه من قضايا علمية يسمى (اختراعا) أو (اكتشافا)، ولا يطلق عليه المعجزة؛ لأن المعجزة خارقة للعادة، ولا تعتمد على السّنن الاعتيادية، بل تخرقها، وأما الاختراع العلمي فليس بخارق

للعادة، وإنما هو اكتشاف لناموس إلهي طبيعي، ذلك أن الاختراعات العلمية هي أمور مكتسبة يتوصل إليها، وتكتشف وتخترع بالتّعلم والتّجربة والممارسة، وهي مبنية على قواعد علمية، وسنن طبيعية لا تتبدل ولا تتغير، كمعرفة خصائص المادة».

هذه بعض أهم مخالفات مفهوم الإعجاز العلمي لمفهوم المعجزة وشروطها.



الفرق بين الإعجاز العلمي والتّفسير العلمي

تعددت تعريفات التّفسير العلمي، ومنها:

1- تعريف أمين الخولي: التّفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها[1]. وقد نقل موسى شاهين لاشين[2]، ومُحَمَّد حسين الذّهبي[3] تعريف الخولي دون إشارة إليه.

2- تعريف مُحَمَّد لطفي الصّبّاغ: تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والرّبط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التّجريبية والفلكية والفلسفية[4]، وهو تعريف منقول عن الخولي مع تصرف يسير في العبارة.

3- تعريف فهد الرّومي: اجتهاد المفسر في كشف الصّلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التّجريبي، على وجه يظهر به إعجاز القرآن[5].

4- تعريف عبد الله الأهدل: تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث[6].

5- تعريف أحمد أبو حجر: التّفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه[7].

6- تعريف عبد المجيد الزّنداني: الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية[8].

من خلال هذه التّعريفات يتبين أن بين مصطلحي (التّفسير العلمي) و (الإعجاز العلمي) ترابطا وثيقا يصعب معه وضع حد فاصل بينهما.

وقد تفاوتت آراء العلماء والباحثين المعاصرين في التّمييز بين (التّفسير العلمي) و(الإعجاز العلمي)، انطلاقا من نظرة كل باحث لمفهوم المصطلحين، فمنهم من جعل المراد منهما واحدا كالدّكتور غانم قدوري

---

[1] ينظر: التّفسير معالم حياته ومنهجه اليوم، ص19.

[2] اللآلي الحسان في علوم القرآن، لموسى لاشين، ص377.

[3] التّفسير والمفسرون، للذهبي، ج3ص140.

[4] ينظر: لمحات من علوم القرآن لمحمد لطفي الصّبّاغ، ص203.

[5] ينظر: اتجاهات التّفسير في القرن الرّابع عشر، فهد الرّومي، ج2ص549.

[6] ينظر: التّفسير العلمي للقرآن، لعبد الله الأهدل، ص15.

[7] ينظر: التّفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد أبو حجر، ص72.

[8] ينظر: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، للشيخ عبد المجيد الزّنداني وآخرين، ص33.



الحمد، ويتضح ذلك جليا في تعريفه للأعجاز العلمي[1]، والدّكتور أحمد عمر أبو حجر في كتابه التّفسير العلمي في الميزان، إذ جعل غاية التّفسير العلمي تحقيق الإعجاز القرآني؛ لإثبات ربانية القرآن الكريم[2].

في حين هناك من يرى أن التّفسير العلمي ليس مرادفًا للإعجاز العلمي، إلا أنهما ليسا منفصلين متباينين، بل إن بينهما عمومًا وخصوصًا. فالتّفسير العلمي أعم من الإعجاز العلمي، لأن كل إعجاز علمي إنما يُعرف من خلال التّفسير العلمي، وليس كل تفسير علمي قابلًا لأن يكون إعجازًا علميّا. إذ ليست كل آية تتضمن إشارة علمية في قضية كونية أو طبية أو نحوها تحمل إعجازًا علميًّا مثل الإشارات العلمية الظّاهرة التي يدركها كل أحد.

ولعل أهم فرق يمكن ملاحظته بين المصطلحين هو:

أن **الإعجاز العلمي** هو تضمن القرآن الكريم لحقائق علمية لا يمكن للبشر أن يعرفوه في ذلك وقت نزوله مما اكتشفه العلم بعد قرون من نزوله. وفي ذلك إثبات صدق النبوة وأن القرآن كلام الله تعالى.

أما التّفسير العلمي هو استخدام معطيات ومكتشفات العلم التّجريبي في بيان معاني ألفاظ الآيات القرآنية.

فالتّفسير العلمي وسيلة لغاية، وهي الإعجاز العلمي. يقول عادل بن علي الشّدي: «... فكل إعجاز علمي أنما يُعرف من خلال التّفسير العلمي وليس كل تفسير علمي قابلاً لأن يكون إعجازًا علميًّا تقوم به الحجة على غير المسلمين»[3].

فاحتواء القرآن الكريم على حقيقة علمية ومطابقتها لما أثبته العلم مما لا يمكن للبشر أن يعرفوه في زمن نزوله ولم تُعرف إلا في العصر الحاضر بعد قرون طويلة من نزول القرآن: هو الإعجاز العلمي. وشرح الآية وفق معطيات هذه الحقيقة العلمية: هو التّفسير العلمي.

قال الزّرقاني: «إن التّفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو تفاصيلها، أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السّنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم أخيرا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرّسول ﷺ».

وقريب منه ما جاء في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة: «والفرق بين التّفسير العلمي والإعجاز العلمي، هو أن التّفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من حقائق العلوم الكونية. أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم، أو السّنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التّجريبي أخيرا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرّسول ﷺ».

---

[1] ينظر: محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد القدري، ص249.

[2] ينظر: التّفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد عمر أبو حجر، ص66.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص18.



وهذا الرّأي ذهب إليه عبد المجيد الزّنداني عندما تحدث في التّفريق بين التّفسير العلمي والإعجاز العلمي. في كتابه تأصيل الإعجاز العلمي.

أيضا من الفروق: أن التّفسير العلمي هو وسيلة للوصول الإعجاز العلمي، فلا يمكن إدراك وفهم مكمن الإعجاز العلمي إلا بعد التّفسير العلمي.

وأيضا مفهوم التّفسير العلمي سابق في نشأته للإعجاز العلمي، فقد ظهر التّفسير العلمي على يد الغزالي والرّازي، بينما مفهوم الإعجاز العلمي لم يظهر إلا في القرن الرّابع عشر.

إن هذا التّفريق بين المصطلحين هو في الحقيقة نظري، فإذا جئنا إلى التّطبيق لم نجد فرقا عمليا بينهما، فهذا عبد المجيد الزّنداني نفسه عنون كتابه تأصيل الإعجاز العلمي، لكنه يستعمل مصطلح التّفسير العلمي في كلامه عن الإعجاز العلمي وغير ذلك.



إرهاصات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

التّفسير العلمي والإعجاز العلمي، مصطلحان حديثان، ظهر في أوائل القرن الرّابع عشر الهجري، إلا أن العلماء السّابقين كأبي حامد الغزالي، والقاضي عياض، وابن رشد الحفيد، قد أشاروا إليه بعبارات تتضمن معناه وإن لم تكن صريحة في التّلفظ به، يقول نعيم الحمصي عن الإعجاز العلمي عند تلخيصه لفكرة الإعجاز في القرن الرّابع عشر الهجري: «... علما بأن هذه السّمة قد سبق إليها المتقدمون تحت عنواني؛ الإخبار عن الغيوب المستقبلية، واحتواء القرآن على جميع العلوم».

ويُرجع كثير من الباحثين مثل الذّهبي وفهد الرّومي وغيرهما، التّفسير العلمي إلى فكرة تضمن القرآن الكريم لكل العلوم، والتي سادت في فترة من التّاريخ، التي ظهرت نتيجة لاطلاع المسلمين على علوم الأمم الأخرى، إذ وجدوا أن القرآن الكريم قد تكلم في موضوعات تلك العلوم، بل قد صحح أساطيرها. هذا إلى جانب وجود نصوص وروايات عن النبي ﷺ وبعض الصّحابة ﭫ ترشد إلى أن في القرآن كل شيء، ومنها: ما أخرجه التّرمذي عن علي بن أبي طالب ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه»[1].

وما روي قول عبد الله بن مسعود ﭬ أيضا: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله».

وقد تأثر بهذا الاتجاه كثيرون عبر الزّمن، فادعوا وجود أصول كافة العلوم والفنون في القرآن الكريم، فمنهم من أجمل ومنهم من فصل، ورائد هذه الحركة من حيث التّدوين الإمام الغزالي (505هـ)، ذكر في كتابه (إحياء علوم الدّين): «... وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التّعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهره التّفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها».

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، ج1ص197، رقم 704. وأخرجه التّرمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن ص46، باب ما جاء في فضل القرآن ص14، رقم: 2906، ج5ص172. وقال عنه التّرمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال».



وعقد في كتابه (جواهر القرآن) الفصل الخامس لـ «كيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن»، ومما قاله فيه: «... ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعدها ليست أوائِلُها خارجةً عن القرآن»، ثم ذكر بعض الآيات المتعلقة بالشّمس والقمر، والخسوف والكسوف، وأتبعها بقوله: «ولا يعرف حقيقة سَيْر الشّمسِ والقمرِ بِحُسبان، وخُسوفِهما وَوُلُوجِ اللّيلِ في النهار، وكيفيةَ تَكَوُّرِ أحدهما على الآخر، إلا من عرف هيئاتِ تركيبِ السّماوَات والأرض، وهو علم برأسه.

ولا يعرف كمالَ معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[الانفطار:6-8]، إلا من عرفَ تشريحَ الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددَها وأنواعَها وحكمتَها ومنافِعَها، وقد أشار في القرآن في مواضِعَ إليها، وهي من علوم الأوّلين والآخِرين، وفي القرآن مَجامِعُ علم الأوّلين والآخرين».

وخلال القرن السّادس طبق الفخر الرّازي (606هـ) عمليا في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) ما دعى إليه الغزالي، وأسرف فيه بصورة بالغة، بل إنه اشتد كثيرًا على من لا يرى هذا التّوجه، ووصفهم بالجهل والحمق فقال: «ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله تعالى من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد. فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله ﷻ حق التّأمل لعرفت فساد ما ذكرته...»[1].

فمثلا قال في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:2]: «فاعلم أن الحمد إنما يكون حمدا على النعمة، والحمد على النعمة لا يمكن إلا بعد معرفة تلك النعمة، لكن أقسام نعم الله خارجة عن التّحديد والإحصاء، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[إبراهيم:34]، ولنتكلم في مثال واحد، وهو أن العاقل يجب أن يعتبر ذاته، وذلك لأنه مؤلف من نفس وبدن، ولا شك أن أدون الجزءين وأقلهما فضيلة ومنفعة هو البدن، ثم إن أصحاب التّشريح وجدوا قريبا من خمسة آلاف نوع من المنافع والمصالح التي دبرها الله ﷻ بحكمته في تخليق بدن الإنسان، ثم إن من وقف على هذه الأصناف المذكورة في كتب التّشريح عرف أن نسبة هذا القدر المعلوم المذكور إلى ما لم يعلم وما لم يذكر كالقطرة في البحر المحيط، وعند هذا يظهر أن معرفة أقسام حكمة الرّحمن في خلق الإنسان تشتمل على عشرة آلاف مسألة أو أكثر، ثم إذا ضمت إلى هذه الجملة آثار حكم الله تعالى في تخليق العرش والكرسي وأطباق السّموات، وأجرام النيرات من الثّوابت

[1] ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرّازي، ج14ص121.



والسّيارات، وتخصيص كل واحد منها بقدر مخصوص ولون مخصوص وغير مخصوص، ثم يضم إليها آثار حكم الله تعالى في تخليق الأمهات والمولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات وأصناف أقسامها وأحوالها- علم أن هذا المجموع مشتمل على ألف ألف مسألة أو أكثر أو أقل، ثم إنه تعالى نبه على أن أكثرها مخلوق لمنفعة الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية:13]، وحينئذ يظهر أن قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مشتمل على ألف ألف مسألة، أو أكثر أو أقل».

ثم جاء ابن أبي الفضل المرسي (655هـ)، وقد نقل عنه السّيوطي نصا طويلا في هذا السّياق، ومما قاله: «... قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطّب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك»[1].

ثم أكد السّيوطي على ذلك فقال بعد أن ساق كلام ابن أبي الفضل المرسي السّابق: «وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء؛ أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السّموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثّرى... إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات» [2].

وفي القرن الثّامن الهجري ظهر بدر الدّين الزّركشي (794هـ) كمؤيد للتفسير العلمي حيث عقد فصلًا في كتابه (البرهان في علوم القرآن) عنوانه: (في القرآن علم الأولين والآخرين) قال فيه: «إن كتاب الله بحره عميق، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر في العلوم، وعامل الله بتقواه في السّر والعلانية، وأجله عند مواقف الشّبهات، واللّطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السّمع وهو شهيد، فالعبارات للعموم وهي للسمع، والإشارات للخصوص، وهي للعقل... **وفي القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهّمه الله تعالى**»[3].

كما أن هناك علماء آخرون أيّدوا هذا الاتجاه في تفاسيرهم، منهم: البيضاوي (791هـ) في أنوار التّنزيل، والنيسابوري (728هـ) في غرائب القرآن؛ والآلوسي (1270هـ) في روح المعاني...

ولام عبد الرّحمن الكواكبي الحلبي في كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» على المفسرين الذين اقتصروا على جعل إعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته، وأهملوا الناحية العلمية التي تدل على إعجازه المتجدد،

[1] ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج2ص127.
[2] ينظر: المصدر نفسه، ج2ص129.
[3] ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج2ص181.



ويرى أن هؤلاء كانوا يخافون مخالفة السّلف القاصرين في العلم، فيكفرون فيقتلون، وأن مسألة إعجاز القرآن هي أهم مسألة في الدّين لم يقدروا أن يوفوها حقها من البحث، واقتصروا على ما قاله فيها بعض السّلف.

وممن دعا لهذه النزعة العلمية في العصر الحديث أيضا الشّيخ محمّد عبده، فكانت طريقته في التّفسير تدعو إلى تحكيم العقل، وإلى التّوفيق بين الإسلام وبين العلوم الحديثة، وكان يؤكد على ضرورة التّفكر والتّدبر في كتاب الله من هذه الناحية فيقول: «أجمل القرآن الكلام عن الأمم وعن السّنن الإلهية وعن آياته في السّموات والأرض وفي الآفاق والأنفس، وهو إجمال صادر عمن أحاط بكل شيء علما، وأمرنا بالنظر والتّفكر والسّير في الأرض لنفهم إجماله بالتّفصيل الذي يزيدنا ارتقاء وكمالا، ولو اكتفينا من علم الكون بنظرة في ظاهره لكنا كمن يعتبر الكتاب بلون جلده لا بما حواه من علم وحكمة».

كذلك ممن دعا إلى التّفسير العلمي لكتاب الله وعمل به؛ طنطاوي جوهري في كتابه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم)، فقد فسر القرآن كله تفسيرا علميا أدخل فيه كل ما توصل إليه العلم التّجريبي والكوني في زمنه وبالغ في ذلك كثيرا، وكان يلقي باللّائمة على العلماء الذين اهتموا واعتنوا بالفقه واختلاف الفقهاء وآيات الأحكام فقط، ولم يهتموا بالعلوم التّجريبية، والآيات الدّالة عليها كثيرة جدا.

وجزم مصطفى صادق الرّافعي أن لهذه العلوم الكونية كلها إشارات في القرآن الكريم، وأنه من الممكن أن يسبق العالم الإسلامي إلى اكتشافها قبل غيره فيقول: «ولعل متحققا بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم، ولا يلتوي عليه أمر من أموره... لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم، وإن لم تبسط من أنبائها، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها، بل وإن في هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معاني القرآن والكشف عن حقائقه... ولا جرم أن هذه العلوم ستدفع بعد تمحيصها واتصال آثارها الصّحيحة بالنفوس الإنسانية إلى غاية واحدة، وهي تحقيق الإسلام، وأنه الحق الذي لا مرية فيه، وأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأنه لذلك هو الدّين الطّبيعي للإنسانية؛ وسيكون العقل الإنساني آخر نبي في الأرض، لأن الذي جاء بالقرآن كان آخر الأنبياء من الناس... ».

ويقول في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت:53]: «ولو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كلها ما خرجت في معانيها من قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾، وفي الحقيقة أن هناك العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى مستقبلية الاستكشاف في دلالات بعض الآيات القرآنية، وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[الأنعام:67]، وقوله ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ



﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[النمل:93]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾[ص:88].

وممن يرى أيضا ضرورة الاستعانة بالعلوم في التّفسير كالشّيخ أحمد بن مصطفى المراغي في تفسيره، فها هو يبين ويوضح طريقته في كتابه فيقول: «وقد سلكنا في الوصول إلى فهم الآيات التي أشارت إلى بعض نظريات في مختلف الفنون استطلاع آراء العارفين بها، فاستطلعنا آراء الطّبيب النطاسي، والفلكي العارف والمؤرخ الثّبت، والحكيم البصير، ليدلي كل برأيه فيما تمهر فيه، لنعلم ما أثبته العلم وأنتجه الفكر، فيكون كلامنا معتزا بكرامة المعرفة التي تشرف بتفهم كتاب الله، فعالم الدّين حامل لوائها، عليه أن يسأل العلم دائما ليستبصر بما ثبت لديه، ويساير عصره ما وجد إلى ذلك سبيلا».

وهكذا استمرت الدّعوة إلى اتخاذ المنهج العلمي في التّفسير العلمي تزداد في هذا العصر، وانقسم العلماء في ذلك: قسم ذهب إلى ضرورة الاتجاه إلى ذلك وإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسّنة النبوية، وذكر مبررات ذلك الاهتمام وضرورته، وهؤلاء كان منهم من توسع في القول بالإعجاز العلمي، ومنهم من كان رأيه الاعتدال وعدم الغلو في اعتماد النظريات العلمية وتطبيقها على ما جاء في الآيات القرآنية. وقسم وقف بشدة ضد هذا التّيار، ورفض زج القرآن الكريم في هذه النظريات والاكتشافات العلمية وكذلك كان لهذا القسم مبرراته.

والملاحظ هو القلة النسبية لأعداد المهتمين بالتّفسير العلمي من المتقدمين، فعلى امتداد ما يقارب ثمانية قرون لا نكاد نجد أكثر من ثمانية مفسرين اهتموا بهذا الجانب، وهو عدد قليل بالنسبة لامتداد القرون.

كما أن معظم هؤلاء المفسرين لم يمارسوا التّفسير العلمي عمليًّا في تفاسيرهم بحيث يصح اعتباره اتجاهًا لهم، بل إنهم اكتفوا بالتّأييد النظري والدّعوة إلى التّفسير العلمي إذا استثنينا منهم الفخر الرّازي الذي كان رائدًا فيه ومارسه عمليًّا في تفسيره: مفاتيح الغيب.

ومفهوم التّفسير العلمي عند السّابقين اقتصر على استخراج أصول العلوم والصّنائع من القرآن، أو الدّعوة العامة إلى التّفكر والتّدبر في ملكوت السّموات والأرض وعجائب قدرة الله تعالى في خلق الإنسان والحيوان.

لذلك عُدَّ التّفسير العلمي اتجاهًا معاصرًا حديثًا في التّفسير، لا سيما وقد كثر المهتمون به في العصر الحديث، وشاعت المؤلفات فيه وانتشرت بشكل غير مسبوق وأُفرد بمصنفات مستقلة.



مجالات الإعجاز العلمي وميادينه[1]

إن كل موضوع تحدث عنه القرآن أو السّنة، في أي مجال من مجالات العلم، التي ظهرت حقيقتها في العصر الحاضر، والتي لا يمكن نسبة خبرها الذي جاء به الوحي إلا إلى الله؛ هو ميدان من ميادين أبحاث الإعجاز العلمي الذي كشفت عنه العلوم الحديثة.

وميادينه على هذا المفهوم: هي الميادين والمجالات الكونية التي جاء ذكرها أو الإشارة إليها في القرآن والسّنة، وتمكّن العلم البشري من معرفة أسرارها، وهذه الآيات تغطي مساحة كبيرة من العلوم التّجريبية؛ تمتد من علم الأجنة إلى علم الفلك وما بينهما من مختلف مجالات العلوم والمعارف؛ من الطّب، والفلك، وعوالم النبات والحيوان، وأنظمة الكون...

[1] تأصيل الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة، عبد المجيد الزنداني، ص34.



أوجه الإعجاز العلمي[1]

إن الوجه الأساس للإعجاز العلمي هو ما جاء في تعريفها من أنه سبق القرآن الكريم إلى الحديث عن حقائق علمية لم تكتشف إلا في العصر الحديث، فهذا السّبق هو مكمن الإعجاز، وهناك أوجه أخرى يذكرها الباحثون تتمثل فيما يلي:

1- التّوافق الدّقيق بين ما في نصوص الكتاب والسّنة، وبين ما كشفه علماء الكون أمثال البروفسور كيث ل. مور وهومن أشهر علماء العالم في علم الأجنة وكتابة في علم الأجنة مرجع عالمى مترجم إلى سبع لغات منها الرّوسية واليابانية والصّينية والذي جاء بعد اقتناعه بأبحاث الإعجاز العلمي ألقى محاضرة في ثلاث كليات طبية بالمملكة العربية السّعودية عام (1404هـ) بعنوان (مطابقة علم الأجنحة لما في القرآن والسّنة) من حقائق كونية وأسرار كونية لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزول القرآن.

2- تصحيح الكتاب والسّنة لما شاع بين البشرية في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق مثل ما كان شائعاً بين علماء التّشريح من أن الولد يتكون من دم الحيض واستمر ذلك الاعتقاد إلى أن اكتشف المجهر في القرن السّادس عشر الميلادي بينما نصوص القرآن والسّنة تقرر أن الولد يتكون من المني وقد رد علماء المسلمين من أمثال الأمام ابن القيم والإمام ابن حجر وغيرهم أقوال علماء التّشريح في عصورهم بنصوص الوحي وذلك مثل ما قاله ابن حجر وزعم كثير من أهل التّشريح أن مني الرّجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إنما يتكون من دم الحيض وأحاديث الباب تبطل ذلك[2].

3- بيان التّكامل بين الكتاب والسّنة: إذا جمعت نصوص الكتاب والسّنة الصّحيحة وجدت بعضها يكمل بعضها الآخر فتتجلى بها الحقيقة مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقه في الزّمن وفي مواضعها من الكتاب الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند الله الذي يعلم السّر في السّماوات والأرض وما فيهن ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الملك:14]، وفي بيان هذا التّكامل بين الكتاب والسّنة رد قاطع على الجهلة الذين ينادون اليوم بإسقاط السّنة!.

---

[1] تأصيل الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة، عبد المجيد الزنداني، ص26 وما بعدها.

[2] فتح الباري، ج11ص480.



4- سن التّشريعات الحكيمة التي قد تخفى حكمتها على الناس وقت نزول القرآن وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات مثلما كشفه العلم حديثاً من الحكمة في تحريم أكل لحم الخنزير والاعتزال المقصور على الجماع في المحيض ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[البقرة:222].

5- عدم الصّدام بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره على كثرتها، وبين الحقائق العلمية المكتشفة على وفرتها، مع وجود الصّدام الكثير بين ما يقوله علماء الكون من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات ووجود الصّدام بين العلم وبين ما قررته سائر الأديان المحرفة والمبدلة. تنبيه وكلامنا هنا محصور في قضايا الإعجاز العلمي الذي تسفر فيه النصوص عن معاني لكيفيات وتفاصيل جديدة عبر العصور أما ما يتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق فقد بينها رسول الله ﷺ ووضح تفسيرها[1].

6- تفسير آيات الإعجاز العلمي ودلالاتها تتطور مع تقدم العلوم دون أن تتناقض مع العلم، وهذه معجزة بحد ذاتها، فالحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن مفهومة وواضحة لكل عصر من العصور. بينما مؤلفات البشر تصلح لعصرها فقط.

[1] التّفسير والمفسرون، للذهبي، ج1ص34.



ثمرات الإعجاز العلمي[1]

إن البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم يتضمن العديد من الفوائد، نستعرض أهمها:

1- بيان سبق القرآن الكريم لكثير من الحقائق التي كشفها العلم الحديث، وبالتّالي صدق القرآن الكريم.

2- الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فتح جديد في مجال إقناع غير العرب والإنسانية كافة بإثبات أن القرآن الكريم من عند الله، فإذا كان القرآن يخاطب كل الناس فإن أكثر الأعجميين على غير دراية باللّغة وليس لهم باع كبير في فهم جوانب الإعجاز الأخرى؛ كالإعجاز البياني والبلاغي واللّغوي والتي لا مجال لإقناعهم بها، بينما يملك الإعجاز العلمي وسائل إقناع الناس، ومن هنا يأتي مجال الإعجاز العلمي في دعوة هؤلاء إلى صدق الكتاب والرّسالة والحثّ على اعتناق الإسلام.

3- تجديد إيمان المسلمين به، وحمايتهم من أخطار الغزوات الفكرية. وما أشد حاجة المسلمين اليوم إلى ذلك، فقد تكاثرت عليهم الشّبهات، ودخلت عليهم تعاليم غير إسلامية في الاجتماعات والطّبيعيات، إنّ كثيرا من مثقفي اليوم لا يدرون كثيرا من علم العربية مما يدرك به الإعجاز اللّغوي والبياني، وهنا أيضا يأتي دور الإعجاز العلمي في تجديد الإيمان وتثبيت قلوب الفتية والشّباب عليه.

4- استكشاف بعض جوانب الحكمة في الأوامر والنواهي التي وردت في القرآن الكريم والسّنة النبوية، وتأييد كثيرا من الأحكام الشّرعية، وإدراك الحكمة من بعض التّعاليم والتّشريعات الواردة في القرآن الكريم، وتبيين ما اشتملت عليه من جلب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم؛ ما يضيف إلى القبول التّعبدي لها قبولاً عقليًّا، ولا شك أن القبولين معاً أدعى للالتّزام عن قبول واحد وبذلك يزداد الذين آمنوا إيمانا ويثبت المرتابون إن حصل لهم شك في كمال الشّريعة وصلاحيتها للزمن.

5- استمرار معجزة القرآن الكريم بما يضمن دوام الحجة على كل الناس في كل العصور، وتجديد بَيِّنة رسالة الإسلام وأسلوب الدّعوة، فإذا كان المعاصرون لرسول الله ﷺ قد أدركوا وجه الإعجاز البياني للقرآن، فإن الله سبحانه شاء أن يُريَ العصور التي تسود فيها الثّقافات العلمية والكونية وجهاً آخر من وجوه الإعجاز القرآني، وهو وجه الإعجاز العلمي، الذي يناسب فكر البشر في هذه العصور، وبذلك تتجدد بيِّنة رسالة الإسلام، وتقوم عليهم حجة القرآن بما أدركوا فيه من الإعجاز المناسب لعقولهم.

---

[1] تأصيل الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة، عبد المجيد الزنداني، ص31.



6- تعميق مدلولات بعض النصوص وتوسيع نطاق مفهومها، وزيادة توضيحها فاستخدام المعلومات والمعارف العلمية في تفسير آيات القرآن الكريم سيجعل معاني الآيات- خاصة آيات القرآن الكونية- أكثر وضوحاً، وربما أكثر صوابا، وسيظل تفسير آيات القرآن الكريم كما هو، غير أنه سيضاف إليه التّفسير العلمي وبهذا تتسع دائرة فهم القرآن.

7- الدّوافع الإيمانية نحو البحث عن الحقائق الكونية: إن تدبر آيات القرآن الكونية، وإنعام النظر في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم سوف ينشط المسلمين بدافع إيماني، ويرغبهم في الإقبال على البحث في الحقائق الكونية، ودراسة سنن الفطرة، وتسخير الاكتشافات فيما ينفع ولا يضر. وبهذا يصبح الإعجاز العلمي للقرآن الكريم من أهم العوامل الإيمانية التي تولد الرّغبة لدى المسلمين في الإقدام على الدّخول في مجالات البحوث والدّراسات والاكتشافات الكونية.

8- إضافة دراسات جديدة إلى علوم القرآن تختص بالإعجاز العلمي فيه.

9- تصحيح مسار العلم التّجريبي، وتنشيط المسلمين للاكتشافات الكونية وتوسيع مداركهم ولكن بدوافع إيمانية؛ فإن التّفكير في مخلوقات الله عبادة، والتّفكير في معاني الآيات والأحاديث عبادة، وتقديمها للناس دعوة إلى الله تعالى، وهذا كله متحقق في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، وهذا من شأنه أن يحفز المسلمين على اكتشاف أسرار الكون بدوافع إيمانية، وليس كما يقدمها لنا الغرب على أساس من الإلحاد. فهم يَرُدون كل شيء للطبيعة، ونحن ينبغي أن نصحح هذه العقيدة، فنرد كل شيء لله سبحانه.

10- الرّد العلمي على الشّبهات والأفكار التّشكيكية في صحة الرّسالة المحمدية.

11- تصحيح الأخطاء التي صاحبت نظرة الإنسان المادية إلى ذاته، والاهتمام بدراسة أمراض الحضارة المادية المترتبة على مخالفة الفطرة والخروج عن طاعة الله.



مذاهب العلماء في الإعجاز العلمي وأدلتهم[1]

لم يتفق العلماء والباحثين على رأي واحد في الإعجاز العلمي، مع اتفاقهم أن القرآن الكريم معجزة لمحمد، وهو حجة على المتقدمين والمتأخرين، وهو معجز في زمنه وفي كل زمن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولذلك اختلفوا في الوجه الذي كان بها القرآن معجزا؟ فقيل: إنه لا حد لها، وقيل: إنها ثمانون وجها، وقيل غير ذلك.

ومن الأوجه التي ذكرها العلماء: كون القرآن الكريم جمع العلوم لم تكن في العرب آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم أحد ولا يشتمل عليها كتاب، وفي هذا الوجه أدخلوا علوم ومعارف كثيرة، ما بين مقل ومستكثر.

وبعض العلماء يذكر اشتمال القرآن على بعض العلوم إجمالا أو تفصيلا، لكن لا يعد ذلك من الإعجاز، بل يعتبره من خصائص القرآن كما فعل القاضي عياض.

ولذلك فإن المقصود في هذا المبحث هو حصر أقوال العلماء والباحثين ممن صرح بمصطلح (الإعجاز العلمي) بمفهومه الذي استقر عليه، ويعود سبب هذا الحصر لأمرين:

الأمر الأول: أن بعض من كتب في الإعجاز العلمي، جعل قول عالم في التّفسير العلمي، أو تأييده لبعض أوجه إعجاز القرآن، أو ذكره للفظ الإعجاز العلمي، أو ذكره لقضية كونية، جعل كل ذلك دليلا على تأييده للإعجاز العلمي بمفهومه الذي استقر عليه، كمن نسب القول بالإعجاز العلمي إلى أبي حامد الغزالي، أو فخر الدّين الرّازي، أو الإمام الشّاطبي، أو الزّركشي، أو شيخ الإسلام ابن تيمية، أو ابن القيم له أو السّيوطي، أو مُحَّد الطّاهر بن عاشور، وغيرهم من العلماء السّابقين أو المتاخرين.

الأمر الثّاني: أن بعضهم نسب إنكار الإعجاز العلمي إلى بعض العلماء، من أمثال: مُحَّد حسين الذّهبي، ومُحَّد أبو زهرة، ومُحَّد شلتوت، والشّيخ محمود مُحَّد شاكر وغيرهم، ونسبته إلى هؤلاء ينقصها التّحرير والتّدقيق؛ لأنهم يذكرون في مناسبات مختلفة أن القرآن الكريم يشير إلى أصول بعض العلوم وحقائقها دون تفاصيلها، ولكنهم ينكرون ربط الآيات القرآنية بكل ما كشفه العلم من نظريات وآراء، وينكرون المغالاة في ذلك لدرجة تشويه مقاصد القرآن وأهدافه، وهذا يتورع عنه كل صاحب دين وتقول كما يقولون.

---

[1] ملخص من كتاب: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، زاهر بن مُحَّد بن سعيد الشهري، ص102 وما بعدها.



وأما من صرح بلفظ (الإعجاز العلمي) فهم ينقسمون في موقفهم من الإعجاز العلمي إلى ثلاث طوائف:

الطّائفة الأولى: المعارضون للإعجاز العلمي

الطّائفة الثّانية: المؤيدون للإعجاز العلمي مطلقا أو بضوابط.

الطّائفة الثّالثة: من لهم تفصيل في لفظ الإعجاز العلمي، أو في معناه، أو فيهما معا.

الطّائفة الأولى: المعارضون للإعجاز العلمي.

والمعارضون للإعجاز العلمي لم يكونوا على درجة واحدة، بل هم متفاوتون في ذلك، وينقسمون إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: بعض من حصر أوجه إعجاز القرآن الكريم في الإعجاز البلاغي، فهذا القسم لا يسلم بما عداه من الأوجه؛ لأن القرآن معجز بكل سورة منه، فكل سورة معجزة بنفسها، وما عدا الوجه البلاغي لا يوجد في كل سورة، وقد ادعى يوسف إلياس الحداد أن علماء السّلف مجمعون على إنكار ما عدا الإعجاز البلاغي حيث قال: «إن المسلمين يلتمسون اليوم للقرآن الشّمول من كل وجه، ويحاولون أن يجدوا فيه إعجازا إلهيا في العقيدة، وإعجازا إلهيا في الشّريعة، وإعجازا إلهيا في الفلسفة، وإعجازا إلهيا في العلم الحديث، وفاتهم جميعا أن تاريخ الإسلام يجهل مثل هذا التّفكير ومثل هذه المحاولات، وأن القدماء إنما أجمعوا على أن إعجاز القرآن هو في نظمه».

القسم الثّاني: من صرح أن الإعجاز العلمي بدعة، وأنه محدث، ونسب ابتداعه إلى أبي حامد الغزالي، واشتد نكير هذا القسم على المهتمين بالإعجاز العلمي.

وقال بهذا: الشّيخ سعد الحصين، وكتب في ذلك ثلاث مقالات، وهي: (بدعة الإعجاز العلمي في القرآن: تأويل لليقين بالظّن) و(بدعة الانشغال بالإعجاز الظّني عن التّدبر اليقيني) و(رأي آخر في الإعجاز العلمي للقرآن)، وقال ببدعية الإعجاز العلمي كذلك عبد الرّحمن يحي الحجوري.

وعللوا موقفهم بما يلي:

1- أنه ليس من العلوم ما يسمى بالإعجاز العلمي في عهد السّلف الصّالح.

2- أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم استدراك على الله ورسوله، ويتضمن اتهام الرّسول بعدم التّبيان، والدّين بعدم الكمال، وقد أنزل الله تعالى في آخر حياة النبي: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:3].



3- أن إعجاز القرآن عرفه المسلمون الأوائل: في فصاحته وبلاغته، وحججه البالغة، وإخباره عن غيب لا يعلمه إلا من أنزله، وبدعة الإعجاز العلمي للقرآن لا تعدو أن تكون إهانة للقرآن، وإعلاء لنظريات الملحدين.

4- أن الإعجاز العلمي قفز فوق المعنى اللّغوي للآية الكريمة، وإتيان بتفسيرات لا توافق أقوال المفسرين.

5- أن الإعجاز العلمي هو استدلال بالظّني على القطعي، فالإعجاز العلمي من الأدلة الظّنية، والقرآن قطعي الورود، فكيف يستدل بالظّني على القطعي؟!.

القسم الثّالث: من يرى أن الإعجاز العلمي هو مجرد تلفيق، وتوفيق، وتجميع، وتلميع بين العلوم الدّنيوية التّجريبية، وإسقاطها على القرآن الكريم، فهو مجاراة للكفار الملاحدة فيما يزعمون أنهم اكتشفوه وعرفوه.

وقال هذا د. طه جابر العلواني، وذياب بن سعد الغامدي، والشّيخ عبد الكريم الحميد، الذي وصف الإعجاز العلمي بـ (الطّوفان الغامر).

وعللوا قولهم بما يلي:

1- أن أصحاب الإعجاز العلمي لم يأخذوا حظهم من العلم الشّرعي، والتّأصيل العلمي، مما انعكس على محاولاتهم في الجمع بين العلوم الدّنيوية، والعلوم الشّرعية الإسلامية.

2- أنهم سلكوا في فهم القرآن مسالك محدثة مبتدعة تخالف طريقة السّلف ونهجهم في الكلام في القرآن، وبيان معانيه.

3- أنهم اقحموا آيات القرآن قسرة وقهرة، رغم عدم طواعيتها، والبون البعيد الفارق بينها وبين هذه العلوم الدّخيلة، أقحموها بها لتساير الرّكب الضّال، وهذا يستحيل تحقيقا وإن وجد تلفيقا.

4- أنهم حاولوا الإجابة عن أسئلة كثيرة حيرى في المعارف الإنسانية والاجتماعية الحديثة، بل وفي العلوم الطّبيعية المعاصرة، فجعلوا القرآن مساويا لثقافة العصر القلقة المترددة، وعلومها المتذبذبة بين اليقينية، والنسبية، والاحتمالية.

5- أن أصحاب الإعجاز العلمي غاية جهدهم، هو البحث والتّنقيب عما يقذفه أهل العلوم الدّنيوية التّجريبية في مختبراتهم واكتشافاتهم، ومعاملهم وتجاربهم، من حقائق علمية ونتائج استكشافية، كي يبرهنوا للعالم أجمع، وللغرب على وجه الخصوص.

6- أن ما جادت به أفكارهم وفاضت به مختبراتهم هو في كتاب الله وسنة رسوله منذ أمد بعيد، ووقت قديم، ولو على تكلف.



القسم الرّابع: من وقف من الإعجاز العلمي خصوصا والقرآن الكريم عموما موقف العداء، وهم على نوعين

النوع الأول: بعض المستشرقين الذين عمدوا عند ترجمتهم للقرآن الكريم إلى التّعمية على الإشارات العلمية في آياته، بان عبروا ببدائل لغوية، لا تكشف من قريب أو بعيد عن المعنى الإعجازي في الآية، وذلك فرارا من مسألة إثبات الوحي، ولتضليل غير المسلمين عن تلك الإشارات العلمية؛ لأن من يقرأ هذه الآيات، فلابد من أن يدفعه ذلك إلى التّساؤل: هل كان بإمكان إنسان معرفة هذه الحقائق، وتأكيدها منذ خمسة عشر قرنا مضت؟.

وقد حدد الواعظ التّنصيري (جون تاكلي) الباعث وراء دراسة الغرب القرآن الكريم قائلا: «يجب أن نستخدم كتابهم- وهو أمضى سلاح في الإسلام- ضد الإسلام نفسه، لنقضي عليه تماما، يجب أن ترى الناس أن الصّحيح في القرآن ليس جديدة، وان الجديد فيه ليس صحيحا».

من الأفلام الوثائقية حول الحقائق الكونية المذكورة في القرآن الكريم، وخطورة الخطأ في ترجمتها إلى اللّغات الأخرى، ذلك أنها تقلب الحقائق الكونية، وتعرضها بصورة مشوهة تناقض الواقع، وتعطي للقارئ فكرة مغايرة لما جاء به القرآن، فتقدم التّرجمة باعتبارها قرآنا منزلا من عند الله.

وقد تفسح هذه الأخطاء المجال لأصحاب الأغراض السّيئة إلى استعمالها؛ لإثارة البلبلة في فهم القرآن، واستبعاد ربانية مصدره، فتنتشر أفكار مشوهة ومعادية للدين الإسلامي.

النوع الثّاني: من يتنقص الإعجاز العلمي، ويقلل من قيمته، ويسخر ويستهزيء من رموزه، وقد ذهب إلى هذا عدد من العلمانيين والعصرانيين، ومن هؤلاء:

1- محمّد أكون: الذي اعتبر الإعجاز العلمي من الأدبيات الإسلامية التّبريرية التّبجيلية، وقال: إن هذا خطا يجب أن يدان فورة.

2- عادل الجندي حيث قال: «بل إن هناك من أدعياء الدّين، ممن يقومون بدور المشعوذ والسّاحر بصورة بارعة، راجع ما يقوم به خبراء الإعجاز العلمي في القرآن».

3- أشرف عبد القادر حيث قال: «وأتعجب من جريدة الأهرام المصرية، كيف تسمح للمشعوذ زغلول النجار، أن ينشر أكاذيبه وهذياناته عن الإعجاز العلمي في القرآن، الذي هو كذب وقع على القرآن والعلم معا».

4- وأما خليل عبد الكريم، فأزعجه كثيرة وجود هذا العلم، ولهذا لم ير بأسا هو وسيد القمني في اختراع المغالطّات حوله. فزعما أن علماءه يدعون أن في النصوص المقدسة سائر النظريات العلمية التّجريبية والإنسانية، التي ظهرت وتظهر، وسوف تظهر إلى يوم القيامة. وسخر القمني في معظم كتبه من الإعجاز



العلمي في القرآن والسّنة، بحجة: أن القرآن كتاب إيمان، وليس كتاب تكنولوجيا ورياضيات وبيولوجيا، وأن المسلمين لم يكتشفوا، أيا من هذه النظريات اعتمادا على القرآن والسّنة.

الطّائفة الثّانية: المؤيدون للإعجاز العلمي.

وهؤلاء هم الأكثرية ممن كتب في الإعجاز العلمي، أو ايده، أو أيد القائلين به، او ذكره على أنه وسيلة للدعوة إلى الله تعالى، أو ذكره في مباحث علوم القرآن، وهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من بالغ في إثبات الإعجاز العلمي، حتى خرج بالنص الشّرعي عن مدلوله اللّغوي الواضح، ومنهم من توسط في الأمر متمسكا بما وضع من ضوابط للقول بالإعجاز العلمي، ومنهم من أيده مع رفض المبالغة فيه.

واعتبر بعضهم الإعجاز العلمي أمرا مستقرا، ومسلمة إيمانية، وواقعا فكريا، وحقيقة لم تعد تقبل الجدل، وقد نضج لكنه لم ولن يحترق.

وشنع عبد الله المصلح على المعارض للإعجاز العلمي بقوله: «...كما أصبحت قضية الإعجاز العلمي ركيزة قوية لجمع القلوب، وتوحيد الصّفوف بين مختلف الأطياف في المجتمعات المسلمة، ولا يعارضها ويحاربها إلا مأجور، أو حاقد، أو جاهل، أو طالب علم تلبسته بعض الشّبهات، أو أساء فهما لبعض المصطلحات».

وقال مبينا وقوف أصحاب الإعجاز العلمي بالمرصاد لكل معارض له: «لقد بدأنا نسمع صيحات نشاز كنت أتوقع أن تكون هذه الصّيحات النشاز عن طريق أصحاب الشّبهات، لكن أن تصدر من بعض من ينتسب إلى العلم الشّرعي فهي مؤسفة، لكن إن شاء الله تعالى سنكون لها بالمرصاد، وسنجلي الحق، وسنقول للأمة إنكم إذا أردتم أن تسدوا بابا من الأبواب الطّاهرة التي استطعنا أن نقدم بها ديننا بهذا الشّكل الحضاري، وبهذه الصّيغة العلمية، نحن إن شاء الله سنقف لكم، ونكشف شبهكم، وسنستمر بإذن الله نحمي هذا الجانب مادامت الرّوح في البدن».

أدلتهم: استدل المؤيدون للإعجاز العلمي بأدلة من القرآن الكريم، والسّنة النبوية، واحتجوا بإجماع المسلمين:

أولا: الأدلة من القرآن الكريم: استدلوا بأدلة كثيرة من أهمها وأشهرها ما يلي:

الدّليل الأول: الآيات التي ذكر الله له فيها أنه سيري عباده آياته في الآفاق والأنفس، كقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:53]، وقوله تعالى: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[الأنبياء:37]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾[النمل:93].



وجه الدّلالة من الآيات: أن حرف السّين في قوله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ﴾، و﴿سَيُرِيكُمْ﴾، و﴿سَأُورِيكُمْ﴾، يفيد الاستقبال، أي أن الله سيري الناس دلائل واضحات في هذا الكون، وفي النفس الإنسانية، على أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى، وأن ما جاء به حقائق علمية لا ريب فيها.

وأيدوا استدلالهم بآية سورة فصلت، بما ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره لها، حيث قال: «﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله وعلى رسوله، بدلائل خارجية في ﴿ٱلْءَافَاقِ﴾ من الفتوحات، وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان. قال مجاهد، والحسن، والسّدي: دلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها مُحَّد وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه.

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك؛ ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه، من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التّشريح الدّال على حكمة الصّانع».

الدّليل الثّاني: قول الله تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾[ص:88]، وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:67].

وجه الدّلالة من الآيتين: أن في القرآن الكريم «توجد إشارات كثيرة إلى كشوفات علمية سيرفع عنها اللّثام في المستقبل، وسوف تبقي ظاهرة متجددة إلى قيام السّاعة، وهذه الأنباء موجودة في القرآن، ولكن حقائقها وكيفياتها لا تتجلى إلا بعد حين... وشاء الله أن يجعل لكل نبأ زمنا خاصا يتحقق فيه هذا النبأ، فإذا تجلى الحدث ماثلا للعيان؛ أشرقت تلك المعاني التي تدل عليها الحروف والألفاظ في القرآن».

الدّليل الثّالث: الآيات التي فيها الأمر بالنظر والتّفكر في السّموات والأرض، وفيها الأمر بالسّير في الأرض للنظر كيف كان بدء الخلق، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:101]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[العنكبوت:20]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:57]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾[الرّوم:22].

وجه الدّلالة من الآيات: أن هذه الآيات تحض على تطلب آيات الله في الكون، وتعرف أسرار الخلق، وتوجه العقل إلى مجالات العلم الطّبيعي، وفق لغة العصر، وهذا الأمر الإلهي في الآيات ليس مجرد دعوة،



«ولكنه أمر من الله تعالى يجب أن يطلب؛ لأن الآيات الكونية من أسرار الفطرة التي هي مطمع العلم ومرماه».

الدّليل الرّابع: قول الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء:166].

وجه الدّلالة من الآية: قال عبد الله المصلح: «أي أنزله وفيه علمه، ففي هذه الآية بيان لطبيعة المعجزة العلمية، التي نزلت ردا على إنكار الكافرين لنبوة مُحَّد ﷺ التي تبقى بين يدي الناس، وتتجدد مع كل فتح بشري في آفاق العلوم والمعارف ذات الصّلة بمعاني الوحي الإلهي... والقرآن مليء بالآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون، وحديثه عن الكون هو حديث من يعلم أسراره ودقائقه، مع أن البشرية كلها في وقت النبي ﷺ لم تكن تعلم معظم تلك الأسرار، وكان يغلب على تفكيرها الأسطورة والخرافة».

وقال حمزة سالم صيرفي: «وهذه الشّهادة من الله تدل على أن القرآن نزل بعلم الله سبحانه، وهذا يقتضي أن كل ما جاء في القرآن معجز حتى العلوم التّجريبية، فإن مطابقة القرآن لآخر ما توصل إليه العلم في العلوم النظرية، يعتبر إعجازا في هذه العلوم، وذلك بالإضافة إلى العلوم التّجريبية».

الدّليل الخامس: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان:52].

وجه الدّلالة من الأية: أن الجهاد في الآية هو جهاد الحجة العلمية، والدّليل المادي في علوم الطّبيعة والمخلوقات، وليس جهاد السّيف لأمرين:

الأول: أن الجهاد في الآية وصف بـ (كبيرا)، وجهاد السّيف في جميع مواضعه في القرآن لم يوصف بهذا، فتعين أن الجهاد الكبير هو بإظهار آيات وكنوز القرآن ومعجزاته، ومنها الإعجاز العلمي.

الثّاني: أن الآية جاءت وسط حشد من آيات القدرة والخلق، في الظّل، وتعاقب اللّيل والنهار، والآيات الفلكية، وأثرها في النشاط البشري وهرمونات النوم، وميكانيكية حركات الرّياح، وفيزياء السّحب، ونزول المطر، ومزج البحرين المالح والزّلال، وخلق البشر...

الدّليل السّادس: قول الله تعالى: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٣٢ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾[الطور:32-34]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[الإسراء:88].

وجه الدّلالة من الآيتين: قال د. مُحَّد صادق درويش «فإن المثلية تشمل جوانب عدة؛ النظم البياني والتّشريع والعلم... ولا يضيرنا أنْ كان العرب في عصر نزول القرآن لا يُدركون إعجاز هذا الوجه؛ لأن تلك الحقائق العلمية لم تكن مكتشفة في عصرهم، فإن التّحدي ليس مخصوصا بالعرب زمن نزول القرآن، بل هو



مستمر إلى قيام السّاعة، فلا بد أن تقوم الحجة على الناس بإعجازه في كل زمان ومكان، ويكفي لدخوله في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[الطّور:34]، ظهور إعجازه عند تطور العلم».

الدّليل السّابع: الاستدلال بالآيات التي فيها أن الرّسول غ أرسل للناس كافة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء:79]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:158]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:33]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:107]، وغيرها.

وجه الدّلالة من الآيات: «بما أن مُحَّدا هو رسول الله إلى أهل هذا العصر أيضا وما بعده، وبما أن معجزته الحية الخالدة هي القرآن الكريم، إذن فيجب أن يوجد في القرآن الكريم أدلة من اهتمامات أهل هذا العصر وما بعده، على أن القرآن هو وحي من عند الله سبحانه، وأنه لا يمكن أن يكون غير ذلك.

وهذه الأدلة المناسبة لأهل هذا العصر هي الإعجازات العلمية في القرآن الكريم، وهي إعجازات علمية لأهل هذا العصر وما بعده؛ لأنهم الآن صاروا يعرفون أنها حقائق كونية، وقد عرفوا هذه الحقائق بالوسائل العلمية المختلفة المعروفة للدارسين».

ثانيا: الأدلة من السّنة النبوية: استدل بعضهم بحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة**».

وجه الدّلالة من الحديث: أن القرآن الكريم هو معجزة الرّسول ﷺ العظمى، والإسلام هو خاتم الرّسالات، «والرّسالة تحتاج في كل عصر إلى معجزة لإظهار صدقها، وحمل الناس إلى الإقناع، وإقامة الحجة عليهم، فكانت وجوه إعجاز القرآن المتجددة في كل عصر الكفيلة بإقامة الحجة والإقناع، فما دامت القناعات متجددة ومستمرة، فمن البدهي أن يكون رسول الله لا أكثر الأنبياء تابع بفضل المعجزة الخالدة».

ثالثا: الاستدلال بإجماع المسلمين: فقد ذكر فهد بن عبد الرّحمن الرّومي، وعبد الله المصلح، وعبد الجواد الصّاوي، وأحمد عبد الوهاب، وغيرهم: أن الإعجاز العلمي من القضايا التي أجمع المسلمون عليها، ولم تعد تقبل الجدل، «فقد أقر بها شيوخ التّفسير منذ قرون، وحسمها شيوخ الأزهر في العصر الحديث، وشهد بها رجال العلم الحديث مسلمين وغير مسلمين»، وما يثار من خلاف إنما هو حول التّفسير العلمي

قال فهد الرّومي: «قبل أن أذكر الرّاي الذي أميل إليه يجب أن أذكر حقيقة قد كنت أظنها لا تخف إلى



أن رأيت أحد الباحثين يقع في خلافها، تلكم هي التّفريق بين (التّفسير العلمي) و (الإعجاز العلمي)، أما أولهما فهو مثار البحث والمناقشة، وأما ثانيهما فأحسبه أمرا مسلما لا جدال فيه ولا إشكال، ذلكم أن كتابا أنزل قبل أربعة عشر قرنا من الزّمن، وعرض لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية؛ كخلق السّماوات والأرض، وخلق الإنسان، وسوق السّحب وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشّمس والقمر، وتحدث عن الكواكب والنجوم والشّهب وأطوار الجنين والنبات والبحار، وغير ذلك كثير، ومع ذلك كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته، ولم يصادم جزئية من جزئياته، فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازا علميا للقرآن.

فالإعجاز العلمي قاعدة صلبة يقف عليها المسلمون جميعا بكل ثقة وكل أمن؛ لكن طائفة منهم قالتّ: ما دام الإعجاز العلمي متحققا في القرآن وثابتا، فما علينا أن نطبقه بين آياته واحدة واحدة، وبين الحقائق العلمية واحدة واحدة.

وامتنعت طائفة أخرى عن تطبيقه لا خوفا عليه من النقض، وليس خشية على حقائقه؛ ولكن لعدم الثّقة في مداركنا نحن البشر؛ فقد نحسب نظرية علمية حقيقة علمية، فما تلبث قليلا إلا وتتقوض بعد رسوخ، وتتزعزع بعد ثبوت، فنقع في الحرج الشّديد؛ فيكذب القرآن وهو الصّادق، فتكون البلية، فالعيب والنقص في مداركنا، وليس في حقائق القرآن.

إذا فالمسلمون جميعا يقولون بالإعجاز العلمي للقرآن؛ ولكنهم يختلفون في التّفسير العلمي. هذا ما أحببت الإشارة إليه وبيانه، وكنت أظن هذا من الوضوح بما لا يخفى حتى رأيت أحد الباحثين يعقد مبحثا في رسالتّه، ويقسم العلماء إلى قسمين: الأول: القائلون بالإعجاز العلمي للقرآن. الثّاني: المانعون من القول بالإعجاز العلمي. وساق نصوصا لهؤلاء يرفضون بها التّفسير العلمي، وحسبهم ينكرون بها الإعجاز العلمي».

الطّائفة الثّالثة: من لهم تفصيل في لفظ الإعجاز العلمي، أو في معناه، أو فيهما معا: ما يذكره أصحاب هذا الرّأي من تفصيل في لفظ الإعجاز العلمي، أو استدراك على المعاني التي دل عليها، لا يعني إنكارهم له بالكلية ورفضه، لكنهم لا يرون استعمال لفظ الإعجاز العلمي؛ لاعتبارات متعددة.

وهم ينقسمون إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: من يرى أن حقيقة الإعجاز العلمي تكمن في حث القرآن الكريم على التّفكر، وتسريح النظر في آفاق الكون، وأسرار الإنسان، وهذا أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[الذّاريات:20]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:53].



وقد قسم د. مُحَّد حبش البحوث التي تتناول الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة إلى نوعين اثنين:

النوع الأول: بحوث تهتم بالإعجاز العلمي في النص القرآني نفسه.

النوع الثّاني: بحوث تنطلق من النص الدّيني لتقرأ الإعجاز في صفحة الحياة.

ثم قال: «ولا أخفيك أنني أميل للاهتمام بالبحوث الإعجازية وفق المنهج الثّاني، حيث يكون القرآن والسّنة هاديا للبحث في العلم الطّبيعي، دون أن يكون بالضّرورة حاملا للإعجاز في ثنايا حروفه، وأعتقد أن هذا هو المنطق الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية، حيث كان القرآن الكريم هاديا ودليلا للبحث العلمي، وعلى هديه ووفق أمره، جد العلماء أقلامهم وبحوثهم لقراءة كتاب الكون، واستنطاق آياته ودلالاته، وفق ما عبر عنه العلماء بأنه: الوحي المنشور».

القسم الثّاني: من يرى أن الإعجاز العلمي يرجع في حقيقته إلى الإعجاز البياني، وقد قال بهذا د. فضل حسن عباس، ود. صلاح عبد الفتاح الخالدي، وحمودة مُحَّد داود، ود. يوسف القرضاوي حيث قال: «إن الذي يتبين لي في هذه القضية المهمة، هو أن ما يسمى الآن (الإعجاز العلمي) هو عند التّأمل والتّحليل لون من (الإعجاز البياني) للقرآن، فالإعجاز يكمن في الصّياغة القرآنية العجيبة للآيات، أو أجزاء الآيات التي تتناول هذه الشّؤون التي لها صلة بالعلم، أو بالآفاق والأنفس، كما أشار إلى ذلك القرآن حين قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:53]، ذلك أن العبارة القرآنية، أو الجملة القرآنية، قد جعل الله فيها من المرونة والسّعة بحيث يفهمها العقل العربي العادي في عصر نزول القرآن، ويجد فيها المسلم ما يشبع فكره ووجدانه معا، بالفهم الفطري الميسر لكل قارئ للقرآن.

ومع هذا أودع الله الجملة القرآنية من السّعة والخصوبة، ما يتسع لما يكشف عنه الزّمن من حقائق، وما يبلغه العلم من تطور وتقدم، كما نشاهد في عصرنا، ولو كان القرآن كتابا من تصنيف البشر وتأليف عقولهم، ما كان يمكن لعباراته أن تتسع لمختلف الأزمان، وتطورات الإنسان، بل كان مرور الزّمن يكشف عن كثير من القضايا التي ذكرت في الكتاب على أنها حقائق مسلمة، فإذا هي أوهام مرفوضة».

وبيَّن عمار ساسي أن الإعجاز البياني أسبق ظهورا من الإعجاز العلمي، ولذا رأى أن يجمع بين الإعجازين في لفظ واحد وهو: (الإعجاز البياني العلمي) فقال: «الإعجاز البياني برأينا كان أسبق ظهورا من الإعجاز العلمي، وقد كانوا يعنون بالإعجاز العلمي؛ الإعجاز الخاص بالقضايا العلمية، فكلما كشف لهم العلم شيئا جديدا، ورأوا موافقته التّامة للقرآن الكريم، قالوا هذا من الإعجاز العلمي، والإعجاز البياني–



في رؤيتنا- هو الذي قاد إلى ظهور الإعجاز العلمي ومنه بدأ، فالبيان هو مفتاح العلوم.

وبناء على خطوط ما تقدم؛ نقترح مصطلحا متجددا للإعجاز القرآني، نحسبه شاملا وواسعا ودقيقا هو: الإعجاز البياني العلمي».

ويرى الشّيخ مُحَّد متولي الشّعراوي تسميته بـ (الإعجاز البياني المنهجي)، ويدخل تحته الإعجاز العلمي.

وقال مرهف سقا: «ومن المقرر لدى علماء التّفسير، أن الأصل في إعجاز القرآن هو الإعجاز البياني والبلاغي، ومنه يتفرع أنواع الإعجاز؛ من إعجاز تشريعي، وإعجاز غيبي، وإعجاز علمي، وغير ذلك مما عده العلماء في مصنفات علوم القرآن؛ لأنها لو دققنا النظر من دلالات الإعجاز البياني للقرآن الكريم».

القسم الثّالث: من يتحفظ على استعمال مصطلح الإعجاز العلمي لفظا ومعنى، أو لفظ فقط، ومن هؤلاء:

أولا: عدنان زرزور: والذي يرى أن المعجز هو القرآن وليس العلم، فينبغي أن تقول: (الإعجاز القرآني) وليس (الإعجاز العلمي)، قال: «كأنّا فيما نسميه إعجازا علميا، ننسب الإعجاز إلى أنفسنا وليس للقرآن».

ثانيا: حسن منديل العكيلي: والذي ذهب إلى تسميته بـ (إعجاز المضمون)، فإذا كان الإعجاز اللّغوي خاصا موجها للعرب، فإن الإعجاز بالمضمون عام للعرب وغيرهم من الأمم.

ثالثا: مساعد بن سليمان الطّيار: حيث يرى أن الإعجاز العلمي لا يتوافق مصطلحا ومفهوما مع معنى ومفهوم لفظ (المعجزة)، الذي عرفها به العلماء السّابقون، ويقترح أن يسمى (دلائل صدق القرآن والسّنة) فقال: «إن مما يلاحظ على من كتب في الإعجاز العلمي، أنه لم يبين علاقته بمفهوم المعجزة كما استقر عند العلماء السّابقين الذين كتبوا فيها، بل راح بعضهم يتلمس مفهوما جديدا، يتناسب مع مفهوم الإعجاز العلمي عنده، فراح يورد معاني مادة عجز في اللّغة، حتى إذا ما ظفر بمعنى (السّبق) عض عليه، واتكأ عليه، وجعله هو المعنى المراد في مفهوم الإعجاز العلمي، فأغفل ما قرره من مفهوم المعجزة عند السّابقين.

وهذا الأسلوب في تقرير المصطلحات الجديدة تجده عند بعض من يريد أن يضيف- على مصطلح قد استقر وشاع- جديدا، أو يحدد مفهوما جديدا بسبب ما استجد في هذا العصر؛ تجده لا يحرص على ربط مفهومه الجديد بالمفهوم السّابق؛ إما لغفلته عن ذلك، وإما لعدم الارتباط بينهما، مما يبين أن مصطلحه الجديد خاص كل الخصوصية، وليس منطلقا مما استقر وثبت عند السّابقين.

وهذا تجده عند بعض من قرر مفهوم الإعجاز العلمي، حيث يمر مرور الكرام مقررا مصطلح السّابقين، دون أن يعتني ببيان علاقة ما هو فيه من موضوع (الإعجاز العلمي) بما تقرر عند السّابقين، وهذا يشعر بانفصال بين موضوع الإعجاز العلمي في نظر المحدثين، وبين مفهوم الإعجاز عند السّابقين... وهذا



الأسلوب الذي انتهجه هؤلاء- وفقهم الله- راجع إلى أنهم قد قرروا مفهوما خاصا للإعجاز عندهم، فأرادوه ولم يريدوا ما ذكره العلماء السّابقين، لكنهم لم يكلفوا أنفسهم في تحرير هذا المفهوم الجديد، ولا في علاقته بتعريف المعجزة عند العلماء السّابقين، فأعرضوا صفحا عن ذلك، ودخلوا إلى قضايا الإعجاز العلمي على أن ما قرروه من مفهومه لا مشكل فيه حتى يحتاج إلى تحرير».

ثم فصل مساعد الطيار في المشكلات التي تترتب على عدم تحرير القول في علاقة الإعجاز العلمي بالمعجزة واقترح عليهم استعمال لفظ (دلائل صدق القرآن والسّنة)، فقال: «ولو تخلص هؤلاء من سلطان مصطلح (المعجزة والإعجاز) لوجدوا بديلا ينطبق على بحوثهم بدون تكلف، كما هو ظاهر في تعريفاتهم؛ فلو جعلوا حديثهم منصبا على دلائل صدق أخبار القرآن والسّنة، لكان هذا أولى وأنفع من الارتباط بمفهوم الإعجاز الذي يصعب تطبيقه على مباحثهم.

ولعلك تلاحظ أن (دلائل صدق القرآن والسّنة) هي نتيجة أبحاثهم هذه، وهو ما عبروا عنه في نهاية تعريفهم للإعجاز.

وهذا المصطلح (دلائل صدق القرآن والسّنة) أدل على مقصودهم، والصّق ببحوثهم من مصطلح الإعجاز الذي لم يبينوه بيانا شافيا».

وقد يقول قائل: إن هذا اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح فأجاب، مساعد الطيار بقوله: «إن أزمة المصطلحات لا تكاد تنفك عن علم من العلوم، ونحن بحاجة إلى النظر فيها لتحرير محل النزاع، أو لِما قد يترتب عليها من معلومات فيها خلل، لذا فإن ما يقال: إنه لا مشاحة في الاصطلاح، فإنه ليس على إطلاقه، نعم، لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان لا يغير حقائق الأمور، ولا يترتب عليه معلومات علمية خاطئة».

رابعا: مصطفى مُحَّد ياسين: حيث يرى أن يستبدل مصطلح الإعجاز العلمي بـ (مصدقات القرآن الكريم العلمية)؛ لأنه أكثر صدقا في التّعبير عن الوقائع، وانسجاما مع النص القرآني الواعد، وبه تخرج حقائق القرآن من تبعيتها لحقائق العلم، إلى أن تكون حقائق العلم تبعا لحقائق القرآن.

خامسا: مُحَّد محمود كالو: حيث يرى تسميته بـ (التّأويل العلمي)، فهو أفضل من القول بالإعجاز العلمي؛ لأن الحقائق العلمية يمكن لها أن تعطينا بعض الإشارات، التي تجعل الآية أكثر إدراكا وفهما من خلال قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:53]، أما الإعجاز فإنه يعني استمرارية المعجزة وخلودها، وأظن أن ذلك يحمل كثيرا من المجازفة، وإن كان معجزا في وقته".



سادسا: عبد الله بن مُحَمَّد الشّاوي: ويرى أن يسمى الإعجاز العلمي بالاسم الحقيقي له وهو: (التّفسير العلمي)، وبيّن أن سبب منع استعمال أصحاب الإعجاز العلمي للفظ (التّفسير) هو كثرة الجدل حوله، حيث قال: «ومن الملاحظ أن العديد من هذه التّفاسير تجنب أصحابها وصف شروحهم بالتّفاسير، تحاشيا للوقوع في الجدل حول مشروعية تفسير القرآن الكريم باستخدام العلوم الحديثة، ولذلك نجد أن هذه التّفاسير جاءت تحت مسميات بديلة، حيث جاء بعضها تحت مسمى الإعجاز».

وقال أيضا: «كما وضع العديد من علماء الطّبيعة العديد من الكتب التي شرحوا فيها بعض آيات القرآن الكريم، مستعينين على ذلك بمسلمات علمية حديثة، وقد ساهمت هذه الكتابات في إعطاء بعد إضافي، أو بعد مختلف المعاني بعض الآيات القرآنية، وجاءت هذه المساهمات تحت تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم».

وقال: «لا ينبغي للعالم المقتدر الذي يرى أن قوله يبين شرحا متمما لآية قرآنية، أن لا يتحرج من أن يعتبر شرحه هذا تفسيرا، فليس من المحمود أن نسمي الأشياء بغير أسمائها فنقول: إنه إعجاز علمي قرآني، وذلك معنى ثان وما إلى ذلك، فالقرآن الكريم كله إعجاز، إعجاز في أسلوبه، وأمثاله، وأحكامه، وعبره وقصصه، ومعانيه وعلومه.

ولا بأس في أن يكون هذا التّفسير العلمي مُتمما أو مُكملا أو محسنا للتفسير بالمأثور، إذا توافرت فيه الشّروط السّابقة الذّكر».

القسم الرّابع: من يرى أن الإعجاز العلمي أصبح واقعا تقوم على شؤونه مؤسسات وهيئات، وتعقد من لأجله الندوات والمؤتمرات، وكتبت فيه الأبحاث والمؤلفات.

ولذلك يتجه هدف هذا القسم إلى المساهمة في توجيه مسار الكتابة في هذا العلم، والتّنبيه على بعض التّجاوزات التي وقع فيها بعض من كتب في هذا المجال؛ وذلك أن غالب المخاطبين به هم من غير المسلمين، فكان لابد من مزيد من الحذر والتّوقي؛ لئلا ينعكس المقصود، وتقع الفتنة.

وهم في هذا الرّأي يتفقون مع من سبق؛ لأن نقدهم لمصطلح الإعجاز العلمي هو في مسار التّقويم، وتصحيح التّجاوزات، وعدم حصر الإعجاز في العلمي فقط، بل هو جزء من إعجازات متعلقة، كلها تجتمع فتدل على صدق الوحي.



المؤلفات في الإعجاز العلمي

الكتب القديمة:

إن الإعجاز العلمي بالمفهوم الذي استقر عليه؛ من المباحث العلمية الحديثة، لذلك لا نجد فيه مؤلفات عند المتقدمين، اللهم إلا إذا لم نفرق بين الإعجاز العلمي والتّفسير العلمي- وهو ما لا يقول به أغلب من كتب في هذا- فيكون بذلك تفسير الرّازي على رأس كتب الإعجاز العلمي.

وكذلك إذا اعتبرنا فكرة تضمن القرآن الكريم لكل العلوم من الإعجاز العلمي، فهي فكرة قديمة كما سبق الكلام عنها في نشأة الإعجاز العلمي، ورائدها الغزالي، ثم الرّازي، وأبو الفضل المرسي، والزّركشي، والسّيوطي، وبالتّالي كتبهم هي كتب الإعجاز العلمي الأولى.

الكتب الحديثة:

يمكن تقسيم ما كُتب حول الإعجاز العلمي في العصر الحديث إلى قسمين:

أولهما: الدّراسات التّأصيلية النظرية التي تناولت الإعجاز العلمي من حيث مفهومه، نشأته، آراء العلماء فيه... وهي قليلة مقارنة بالقسم الثّاني، ومنها:

1- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، السّيد الجميلي.

2- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة. عبد المجيد الزّنداني.

3- التّفسير العلمي التّجريبي للقرآن الكريم؛ جذوره وتطبيقاته والموقف منه، عادل بن علي الشّدي.

4- التّفسير العلمي للآيات الكونية؛ تاريخه ومواقف العلماء منه، بكر زكي عوض.

5- التّفسير العلمي للقرآن الكريم إلى أين، مساعد بن سليمان الطّيار.

6- التّفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتّطبيق

7- التّفسير العلمي للقرآن الكريم. عبد الله الأهدل.

8- التّفسير العلمي للقرآن في الميزان. أحمد عمر أبو حجر.

9- نقد التّفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم نماذج وتطبيقات، أحمد مُحَّد الفاضل

القسم الثّاني: المؤلفات التّطبيقية، التي مارس أصحابها التّفسير العلمي عمليًّا في كتبهم، وهي كثيرة جدا لا يمكن حصرها، أصبحت تعد بالمئات، على اختلاف أشكالها وأساليبها: من كتب، ومجلات، ومقالات، ومواقع إلكترونية، وغير ذلك. ومن الإنصاف أن لا تعامل جميع تلك المؤلفات وتوزن بميزان واحد؛ إذ منها



المستوفي للشروط، ومنها دون ذلك، فما كتب في (الإعجاز العلمي) يمكن أن يكون واحدا من الآتي[1]:

- ما كتب بعد التّحري والدّراسة والتّأكد من صحة المعلومة من المصادر الموثوقة، مع الالتّزام بالشّروط المطلوبة التّزاما تاما. فهؤلاء بأعلى المراتب، وهذا القسم من (الإعجاز العلمي) هو الذي يمكن أن يكون النقاش حوله بالقبول، وأنه مما يصلح لأن يفسر كتاب الله تعالى به.
- قسم كتب بدافع إبراز عظمة القرآن الكريم، وبيان أسراره، وإثبات أنه الحق من عند الله تعالى. ولكن دون استيفاء الشّروط، ودون التّحقق والتّثبت من دقة ما يكتب. وهذا القسم- وان كانت غايته شريفة ومقصده معتبرا- فإن عمله مردود مرفوض؛ لأن نبل الغاية لا يسوغ الوقوع في الخطأ.
- وقسم كتب بدافع الشّهرة وجلب الأنظار، بعيدا عن التّثبت والتّحقق من مصداقية المعلومات التي يكتبها أو ينشرها على أنها (إعجاز)، وعلى أنها أمور تتعلق بتفسير الكتاب العزيز. وهذا القسم من أسوأ الأقسام، وصاحبه مذموم في الدّنيا والآخرة.
- وقسم هو أقرب إلى الإلحاد في آيات الله تعالى منه إلى (الإعجاز العلمي)؛ وذلك ككثير مما نسمع أو نقرأ حول تفسيرات لا تتفق مع نقل ولا عقل، ولا تستقيم مع سياق ولا سباق. وفيها مخالفات للثوابت العقدية، والمعلوم من الدّين بالضّرورة.

ويمكن ملاحظة أن هذا الضّرب من التّأليف في الإعجاز العلمي على ثلاثة أنواع:

الأول: منهم من أفرد الإعجاز العلمي بمؤلَّف مستقل، وهؤلاء منهم من تناول موضوعا واحد في كتابه، ومنهم تطرق لعدة مواضيع.

الثّاني: ومنهم مَن تحدث عن الإعجاز العلمي في باب مستقل مِن أبواب مؤلفاتهم، سواء أكانت في علوم القرآن أم في غيرها.

الثّالث: مِنهم مَن تحدث عن الإعجاز العلمي في مقدمة تفاسيرهم للقرآن، أو في أثناء تفسيرهم للآيات الكونية.

أولا: المؤلفات التي أفردت لدراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

لكثرة ما أفرد من مؤلفات لدراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، سأقتصر على نماذج منها:

1- إعجاز القرآن العلمي، محمود مهدي الاستانبولي.

2- القرآن وإعجازه العلمي، مُحَّد إسماعيل إبراهيم.

[1] اضطرابات الإعجاز العلمي الناتجة عن مخالفة أسس اللغة العربية، حاتم عبد الرحيم جلال التميمي، ص5.



3- معجزة القرآن، مُحَمَّد متولي الشّعراوي.

4- الكون والإعجاز العلمي للقرآن، منصور مُحَمَّد حسب النبي.

5- المعجزة العلمية في القرآن والسّنة، عبد المجيد الزّنداني.

6- خلق الإنسان بين الطّب والقرآن، د. مُحَمَّد علي البار

7- الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة تاريخه وضوابطه، عبد الله المصلح.

8- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، زغلول راغب نجار.

9- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، مُحَمَّد راتب النابلسي.

10- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، عبد الدّائم كحيل.

ثانيا: المؤلفات التي تحدثت عن الإعجاز العلمي في باب مستقل من أبواب الكتاب، سواء أكانت في علوم القرآن أم في غيرها.

1- الإسلام في عصر العلم، مُحَمَّد أحمد الغمراوي.

2- القرآن والعلم الحديث، عبد الرّزاق نوفل.

3- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي.

4- إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس.

5- البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي.

6- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم.

7- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان.

8- دراسات في علوم القرآن، فهد الرّومي.

وعموما كتب علوم القرآن، وكتب مناهج المفسرين وكتب إعجاز القرآن الكريم.

ثالثّا: تفاسير القرآن التي تحدثت عن الإعجاز العلمي، سواء أكان في مقدمة التّفسير، أم في أثناء تفسير الآيات الكونية.

1- تفسير الجواهر، جوهري طنطاوي.

2- تفسير التّحرير والتّنوير، لمحمد الطّاهر بن عاشور.

3- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا.

4- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي.



5- تفسير أيسر التّفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري.
6- تفسير محمد متولي الشّعراوي.
7- التّفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي.
8- التّفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء، بإشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.



شروط وضوابط الإعجاز العلمي[1]

رغم الكم الهائل مما كتب في الإعجاز العلمي، إلا أننا نجد خلطا كبيرا في هذه عند الحديث عن ضوابط الإعجاز العلمي وشروطه بين: شروط المفسر: والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وشروط صحة وقبول الإعجاز العلمي، وضوابط الإعجاز العلمي... فتُذكر كل هذه الأمور مع بعضها تحت عنوان واحد: ضوابط الإعجاز العلمي، أو شروط الإعجاز العلمي، لذلك اخترت تقسيم البحث كالآتي:

أ- الشّروط المتعلقة بالمفسر:

أ- شروط دينية وأخلاقية.

ب- شروط علمية (العلوم التي يحتاجها من يفسر).

ب- الشّروط المتعلقة بالإعجاز العلمي:

أ- منهجية البحث في الإعجاز العلمي.

ب- شروط قبول الإعجاز العلمي.

ت- ضوابط الإعجاز العلمي.

1- الشّروط المتعلقة بالمفسر:

إن (الباحث) هو المدار الأول في عملية التّفسير والإعجاز العلمي في القرآن، وإن العناية في تأهيله من أوجب الواجبات وأولى الضّروريات، وإن وضع شروط الباحث أو المفسر في التّفسير العلمي لا يقل أهمية عن وضع شروط التّفسير العلمي وأصوله، وذلك حسما للفوضى العلمية والفكرية، وسدا لذريعة التّعدي على كتاب الله تعالى تحت لواء الحرية الفكرية، وحفاظا على موضوعية البحث العلمي. وتتمثل هذه الضّوابط في الآتي:

أ- شروط دينية وأخلاقية:

هناك شروط دينية وخلقية لابد للمفسر أن يتحلى بها، من أهمها:

1- **العدالة**: وهي الإسلام، وسلامة الاعتقاد، وملازمة التّقوى، جاء في الإتقان للسيوطي: «اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا، ولزوم سنة الدّين، لأن من كان مغموصا عليه في دينه لا يُؤتمن على الدّنيا فكيف على الدّين، ثم لا يؤتمن في الدّين على الإخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى، ولأنه لا يؤمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبتغي الفتنة ويغر الناس بلينه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة

---

[1] ينظر: التفسير والأعجاز العلمي في القرآن ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار سقا، ج1ص177، التفسير العللمي للقرآن الكريم، يوسف مُحَمَّد بن عاطي، رسالة ماجستير، ص241، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله المصلح، ص30.



الرّافضة، وإن كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على كل ما يوافق بدعته».

وقد عقد السّيوطي لذلك نوعا في كتابه التّحبير بعنوان (من يقبل تفسيره ومن يرد)، فتكلم في شروط من يقبل تفسيره من حيث الرّواية إن كان ناقلا عن السّلف فقال: «فناقل ذلك عنهم شرطه شروط الرّواية، وهي: العدالة والحفظ والاتقان»، ثم تكلم في التّفسير بالرّأي والتّأويل، ثم تكلم في من يقبل قوله في التّأويل، فقال: «وممن لا يقبل تفسيره المبتدع... »، وضرب لذلك مثلا بالزّمخشري توضيحا لمعنى المبتدع، فصار بذلك المبتدع هو الذي يدعو إلى معتقد فاسد، ويفسر النصوص بحسب معتقده، ثم قال: «ولا يقبل ممن عرف بالجدال والمراء، والتّعصب لقول قاله، وعدم الرّجوع إلى الحق إذا ظهر له، ولا من يقدم الرّأي على السّنة، ولا من عرف بالمجازفة وعدم التّثبت أو بالجرأة والإقدام على الله وقلة المبالاة».

فسلامة الاعتقاد والمنهج، وحسن القصد ضروري للمفسر، قال عبد الله بن الصّديق الغماري (1413هـ): «يجب على المتصدي لتفسير القرآن الكريم أن يتجرد من الآراء المذهبية، ويوطن نفسه على تَقبُّل ما تفيده الآية وتدل عليه، ويرجع عما كان يراه أو يعتقده بخلافها، لأن القرآن حجة الله على خلقه، وعهده إلى عباده، إليه يتحاكمون، وعن حكمه يصدرون».

وإذا لم يستحضر المفسر مراقبة خالقه، لم يصادف الحق في تفسيره، قال ابن العربي: «والضّابط لهذا كله، أن يكون الناظر في القرآن يلحظه بعين التّقوى، ولا يميل به إلى رأي أحد للهوى، وإنما ينظر إليه من ذاته ابتغاء علم الله ومرضاته...».

2- **تحرير النية لله تعالى والإخلاص في العمل**: فيجب على المفسر مراعاة الغاية التي من أجلها يعمل وينشط في مجال التّفسير العلمي، ألا وهي خدمة كتاب الله تعالى، والتّدبر لآياته، وتعريف الناس بعجائب كتاب الله، وأن يتجنب بشدة دوافع الشّهرة والظّهور ومحبة الثّناء، وغير ذلك مما يؤثر على الإخلاص، وهذا الشّرط ضروري في ضبط مسيرة الباحث؛ لما له من أثر في زرع الخوف من الله تعالى، والتّثبت من العلوم التي يستخدمها، واستحضار التّوفيق من الله تعالى، فإنما يرزق الإنسان من العلم بقدر نيته، ويوفق إلى المعارف بقدر إخلاصه، والعمدة في هذا الشّرط حديث النبي ﷺ المشهور: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**».

3- **التّجرد من العوامل المؤثرة في العمل العلمي**: كالتّجرد والتّنزه عن الانسياق بدافع الخلفيات المسبقة لعمله، كمعلومات يريد إخضاع النص القرآني لها أو محاولة إرضاء أشخاص بموافقة أفكارهم، سواء كان هذا الانسياق فكريا، أو مذهبيا، أو عاطفيا، أو غيرها من العوامل المؤثرة في نزاهة الباحث وتجرده العلمي.

4- **الأهلية**: فينبغي أن يكون المفسر موهوبا ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاستدلال، حسن الاستنباط، قادرا على التّرجيح إن تعارضت الأدلة، عارفا باختلاف الأقوال على حقيقته.



وأما بالنسبة لغير المختصين في العلوم الشّرعية ولا يملكون هذه الأهلية ولكن يملكون الأهلية في التّخصص الذي يستدل عليه من القرآن الكريم؛ فالواجب في حقهم أن يتعلموا مبادئها، ثم يرجعون إلى العلماء المتخصصين في التّفسير، أو هيئة علمية شرعية متخصصة يباحثونهم في استدلالاتهم، لِيُقيّموا ويُقوِّموا له بحثه، وعليه فلا يجوز لأحد أن يُخرج بحثا في اتجاه التّفسير العلمي دون مراجعة أهل الاختصاص، حسما للفوضى العلمية والتّشويش العقائدي.

5- **المتابعة العلمية لمستجدات الأمور**: فينبغي أن يكون الباحث نبيها، يقظا عاقلا ذا همة عالية، وأهلية على متابعة المستجدات العلمية، وما يطرأ على السّاحة الثّقافية من كتب ومقالات متجددة فيما يتعلق بالتّفسير العلمي أو الإعجاز العلمي، ويستفيد منها في تطوير الأبحاث المتعلقة بالتّفسير العلمي.

ب- شروط علمية (العلوم التي يحتاجها من يفسر):

اشترط العلماء في المفسر أن يكون ملما بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيرا مقبولا، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تحفظ المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله دون علم، فلا بد للمفسر أن يتمكن منها، وهي نفسها شروط التّفسير بالرّأي الجائز مضافا إليها ما يتعلق بالتّفسير العلمي.

وقد اجتهد بعض المتأخرين في بيان جملة العلوم التي يحتاجها من المفسر حتى يكون تفسيره صحيحا، واختلفوا في عدد هذه العلوم، فالرّاغب الأصفهاني جعلها عشرة علوم، وهي: علم اللّغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسّيَر، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة.

وجعلها شمس الدّين الأصفهاني (749هـ) خمسة عشر علماً، وهي: علم اللّغة، والاشتقاق، والتّصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والقراءات، وأسباب النزول، والآثار والأخبار، والسّنن، وأصول الفقه، والفقه والأخلاق، والنظر والكلام، والموهبة.

علم اللّغة: لأنه به يمكن شرح المفردات ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»، ولا يكفي معرفة اليسير بل لا بد من التّوسع في المعرفة فقد يكون اللّفظ مشتركا، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد هو الآخر.

ومن نماذج على مخالفة التّفسير للعلمي لمعاني الألفاظ: اشتهر في كتب (الإعجاز العلمي) أن كلمة ﴿دَحَىٰهَآ﴾ في قوله الله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[النازعات:30]، مأخوذ من (الأدحية)؛ وهي (البيضة) ومراده من ذلك أن الأرض ليست كروية تماما؛ بل إهليجية؛ أي أن قطرها الأفقي أكبر من قطرها العمودي ما بين القطب الشّمالي والقطب الجنوبي.

وأما ما جاء في المعاجم فيتلخص في الآتي: الدّحْوُ: هو البسط، دحا الأرض يدحوها دحوا: بسطها.



والأدحية، والإدحية، والأدحوة: موضع بيض النعام، وسمي بذلك لأن النعامة تدحوه برجليها ثم تبيض فيه، والأد حية أيضا هي الحفرة.

علم النحو: لأن المعنى يختلف ويتغير باختلاف الإعراب، فالنحو عنصر أساس من العناصر التي يقوم عليها علم التّفسير، وشرط لا غنى عنه لمن أراد التّصدي لتفسير كتاب الله ﷻ. ومن هنا فإنه لا غنى بالكاتبين والباحثين في (الإعجاز العلمي) عن الإلمام بالنحو بما يكفي ويفي بحق تفسير القرآن الكريم.

وإن عدم الإلمام بالنحو قد يوقع الباحث في أخطاء في فهم الكتب العزيز، ومن الأمثلة على تعلق (الإعجاز العلمي بالنحو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾[الرّعد:2]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾[لقمان:10]، فقد ذهب بعض المفسرين وبعض الباحثين في (الإعجاز العلمي) إلى أن السّماء تقوم على عمد، ولكن هذه العمد غير مرئية، وقالوا: إن المقصود بالعمد؛ هو القوى الجاذبية فيما بين المجرات، والكواكب، والكتل.

وهذا القول بإثبات عمد للسماء، وكذا نقيضه بنفي وجود عمد للسماء، لا بد لهما من معرفة النحو، ومعرفة الأساس الذي يقوم عليه كل منهما، وخلاصة القول في الآيتين الكريمتين أن جملة ﴿تَرَوۡنَهَا﴾ تحتمل أوجها من الإعراب؛ وهي:

- أن تكون جملة مستأنف؛ والمعنى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ﴾، ثم قال: ﴿تَرَوۡنَهَا﴾؛ أي وأنتم ترونها مرفوعة بلا عمد، فالضّمير في ﴿تَرَوۡنَهَا﴾ يعود على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لا على ﴿ عَمَدٖ﴾، وعلى هذا الوجه يحسن للقارئ أن يقف على كلمة ﴿عَمَدٖ﴾؛ بيانا وإظهارا لكونها مستأنفة. وعلى هذا القول فلا عمد للسماء، لا مرئية، ولا غير مرئية.
- أن تكون جملة﴿ تَرَوۡنَهَا﴾ حالا من ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والتّقدير: رفع السّماوات ترونها بغير عمد، وقد ضعَّف الرّازي هذا الوجه وجعله غير جائز، قال رحمه الله: «واعلم أنه إذا أمكن حمل الكلام على ظاهره كان المصير إلى التّقديم والتّأخير غير جائز»، وعلى هذا القول أيضا فلا عمد للسماوات.
- أن تكون جملة﴿ تَرَوۡنَهَا﴾ في محل جر صفة للعمد، والمعنى: بغير عمد مرئية، أي أثبت للسماوات عمدا؛ ولكننا لا نراها. وقد رد الرّازي هذا الوجه، وقال: "إنه في غاية السّقوط؛ لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الإله القادر، ولو كان المراد ما ذكروه لما ثبتت الحجة؛ لأنه يقال: إن السّماوات إذا كانت قائمة على عمد؛ ذهبت الدّلالة على وجود الإله".

وضعفه ابن عطية من وجه آخر فقال رحمه الله تعالى: «وهذا كله ضعيف، والحق أن لا عمد جملة؛ إذ العمد يحتاج إلى العمد ويتسلسل الأمر، فلا بد من وقوفه على القدرة، وهذا هو الظّاهر من قوله تعالى:



﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[الحج:65]، ونحو هذا من الآيات.

فظهر بهذا أن القول في (الإعجاز العلمي) أو (التّفسير العلمي) لا بد لهما من معرفة ودراية بعلم النحو، وأن الخوض في التّفسير بدون العلم بهما لا يخلو من خلل وخطر.

علم الصّرف: وبواسطته تعرف الأبنية والصّيغ، فكثير من الأخطاء في التّفسير ترجع إلى الجهل بعلم الصّرف، ويدخل في ذلك علم الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين؛ اختلف باختلافهما.

ومن الأمثلة على اختلال المعاني المبنية على مخالفة التّفسير العلم بالصّرف؛ ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء:32]؛ فقد حمل بعض الباحثين المعاصرين﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ في الآية على (الغلاف الجوي)، وقال: »إن العلماء يقررون ويصفون هذا الغلاف بأنه كالسّقف الذي يحمينا في وسط هذا الكون المظلم والبارد؛ من حيث حفظ حياة الكائنات على ظهر الأرض؛ ففيه الأكسجين اللّازم لاستمرار الحياة. ومن حيث حفظ وتخزين الحرارة القادمة من الشّمس، والمحافظة على حرارة معتدلة ومناسبة للحياة، ومن حيث حفظ الأرض من ملايين النيازك التي تهوي على الأرض كل يوم، جميعها يتصدى لها الغلاف الجوي فتحترق بسبب احتكاكها معه قبل أن تصل إلى الأرض إلا القليل منها، ومن حيث منع وصول الإشعاعات الضّارة التي لو وصلت إلى سطح الأرض لأحرقت من عليها؛ ومنها الأشعة فوق البنفسجية الخطيرة، والأشعة الكونية الأخطر".

وبعد التّسليم بأن ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ في الآية هي (الغلاف الجوي)، فإن جميع ما ذكر تأباه صيغة اسم المفعول ﴿مَّحْفُوظًا﴾؛ أي أن الحفظ يقع عليها، وليست هي الحافظة كما في الكلام المذكور أعلاه! !.

فإن قيل: إن في الآية مجازا عقليا، فصيغة ﴿مَّحْفُوظًا﴾ هنا بمعنى (حافظ)؛ على غرار ما قيل في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[الطّارق:6]، فقد جاء في كثير من التّفاسير أن ﴿دَافِقٍ﴾ بمعنى (مدفوق)، فكذلك هنا؛ اسم المفعول يراد به اسم الفاعل؟!.

فالجواب: أن هذا الكلام يأباه التّصريح بكون السّماء محفوظة لا حافظة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾[الحجر:16-17]؛ فالسّماء مفعول به؛ أي التي وقع عليها الحفظ. فظهر أن صيغة المفعول باقية على بابها.

علوم البلاغة الثّلاثة (المعاني، البيان، البديع): فعلم المعاني يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان يعرف به خواص التّراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدّلالة وخفائها، وعلم البديع يعرف به وجوه تحسينالكلام. وهذه العلوم الثّلاثة من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يُدرك إلا بهذه العلوم.



وقد تقرر في علم الأصول وعلم التّفسير قديما؛ أنه يجب تقديم المعنى الحقيقي على المعنى المجازي؛ فلا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة؟ ، ولذا فقد اتفقت كلمة الباحثين في (الإعجاز العلمي) على أن هذا هو أحد الشّروط التي يجب مراعاتها عند تفسير القرآن الكريم تفسير علميا.

ومن الأمثلة التي خُولف فيها هذا الشّرط عند التّفسير العلمي للقرآن الكريم ما وقع من التّعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾[الزخرف:33-35]، فقد تعرض بعض الباحثين في الإعجاز العلمي لهذه الآيات الكريمة في محاولة منهم لمعرفة لماذا اختص الله الفضة بالذّكر في هذه الآيات؛ فمنهم من يرى أن المقصود بالسّقف المصنوعة من الفضة في الآية الكريمة هو الخلايا الشّمسية الحديثة التي تصنع مكوناتها من الفضة، أما بالنسبة للمعارج والأبواب والسّرر المتخذة من الفضة، فهذا أمر ممكن تحقيقه صناعيا لمن آتاهم الله المال وغرتهم الحياة الدّنيا وزخرفها.

وذهب آخرون إلى تفسير عبارة (سقفا من فضة) في هذه الآيات الكريمة إلى أن المقصود منها هي سفن الفضاء المصنوع غلافها الخارجي من عدة طبقات من معدن الفضة، وأن هذه السّفن لها أبواب وأماكن جلوس بداخلها، ويرون أن وجه الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمة؛ هو التّنبؤ بظهور سفن الفضاء في العصر الحديث.

ومن الواضح جدا من خلال الرّأيين السّابقين ترك حقيقة لفظ (السّقف) واستعمال المجاز بدلا منه؛ فاللّفظ الحقيقي هو اللّفظ المستعمل فيما وضع له، أما المجاز فهو اللّفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، ومن ضوابط استخدام المجاز أن يكون اللّفظ المجازي مستعملا في لازم المعنى الحقيقي، فإذا لم يكن كذلك لم يكن المجاز صحيحا.

ثم إن هذا المعنى المذكور– بعد تسليم كل ما قيل فيه– لا ينسجم البتة مع الواقع؛ إذ إن الألواح الشّمسية يستعملها المسلم والكافر، والآية خصصت الأمر المذكور بمن يكفر بالرّحمن!!، فدلت على أن المعنى غير ذلك قطعا.

علم القراءات: إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض المعاني على بعض، وزيادة دلالات الآية وكثرة الاستنباط.

علم أصول الدّين (علم العقيدة (: وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز وما يستحيل، وأن يقرر أصول الإيمان والغيبيات.

علم أصول الفقه: إذ به يعرف كيف يستنبط المفسر العلوم المختلفة والأحكام، ويستدل عليها،



ويعرف الإجمال والتّبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتّقييد، ودلالة الأمر والنهي، وطرق الدّلالة، وما سوى ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم.

علم أسباب النزول: لأنه يعين على فهم المراد من الآية.

علم القصص: لأن معرفة القصة تفصيلا يعين على فهم المراد من الآية.

علم الناسخ والمنسوخ: وبه يعلم المحكم من غيره، ومن فقد هذه الناحية ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضّلال.

معرفة الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، إذ السّنة مبينة للقرآن، ويكون ذلك بالرّجوع إلى صريح التّفسير عن النبي ﷺ، كما يكون بالرّجوع إلى أقواله وأفعاله التي لها أكبر الأثر في فهم القرآن.

علم أحوال البشر: **(علم التّاريخ)**، ليعرف أطوار البشر وأدوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم من قوة وضعف، وعزة وذل، وعلم وجهل، وغير ذلك، ومن جملته أيام الجاهلية، والسّيرة النبوية.

الإلمام بمسلات العلوم الحديثة بمختلف أنواعها، والتّبصر بها، والاستعانة منها بما يخدم التّفسير، وخاصة ضمن الآيات الكونية، كنشوء الرّياح والسّحاب والأمطار وطبقات الأرض، وغير ذلك.

2- الشّروط المتعلقة بالإعجاز العلمي:

نظرا للفوضى الغالبة في كتابات الإعجاز العلمي، والتّكلف في بيان دلالة الآية على الحقيقة العلمية المكتشفة، والتّوسع والاستطراد في ذكر الحقيقة العلمية، اقتضى أن يفرد بضوابط خاصة يتقيد بها عند بيان وجه الإعجاز حتى لا يتناقض القرآن مع حقائق العلم وبدهياته، ولكي يكون الإعجاز العلمي صوابا مقبولا.

وقد تعددت اجتهادات المهتمين بالإعجاز العلمي في ذكر ضوابطه؛ فمنهم من أسهب حتى أوصلها إلى عشرين ضابطا، بعضها ضوابط متداخلة ومتقاربة، ومنهم من اختصر فأخل عن ذكر ضوابط مهمة في الإعجاز العلمي.

أ- منهجية البحث في الإعجاز العلمي:

1- جمع النصوص القرآنية أو الحديثية المتعلقة بالموضوع، ورد بعضها إلى بعض، بمعنى فهم دلالة كل منها في ضوء الآخر؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، كما يفسره الصّحيح من أقوال رسول الله ﷺ ، ليخرج بنتيجة صحيحة لا يعارضها شيء من تلك النصوص بل يؤيدها، فإن أي محاولة للتوفيق بين الاكتشافات العلمية الحديثة مرفوضة إذا خالفت ما دل عليه القرآن في موضع آخر.

2- جمع القراءات الصّحيحة المتعلقة بالموضوع إن وجدت، وكذلك روايات الحديث بألفاظها المختلفة.

3- عدم الاعتماد على الإسرائيليات أو الرّوايات الضّعيفة.



4- الاعتماد على المصادر المعتبرة دون غيرها كأمهات التّفسير والحديث، وكتب غريب القرآن والسّنة، مع الإشارة إلى جهود الدّراسات السّابقة في الموضوع المدروس إن وجدت.

5- الابتعاد عن تسفيه آراء السّلف وعلماء التّفسير والحديث ورميهم بالجهل، أي لا يلزم من تقريره نسبة الجهل والخطأ إلى العلماء السّابقين.

6- ينبغي أن تحصر الدّراسة فيما تمكن القدرة عليه وقصر البحوث فيما يتعلق بالاكتشافات مما هو خاضع للتجارب المخبرية.

7- عدم الخوض في النصوص المتعلقة بالغيبيات التي استأثر الله بعلمها، مثل قضايا الرّوح وقيام السّاعة وحياه البرزخ، والملائكة والجن، والسّحر والعين، والجنة والنار، والميزان، والصّراط، والذّات الإلهية... فحقائق الغيب لها سنن وقوانين خاصة مغايرة لعالم الشّهادة وما يتعلق به.

8- عدم التّعرض لمعجزات الأنبياء بالتّوجيه وإلحاقها قسرا لأنظمة العلوم وقواعد الفنون.

9- ألا يصدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً، وتجعل القرآن تابعا.

10- ألا يحصر معنى الآية في الحقيقة العلميّة، واعتبارها التّفسير الصّحيح الوحيد للآية، بل يذكره- إن كان خاضعا للضوابط الأخرى- على أنه تفسير محتمل، ووجه من وجوه تفسير هذه الآية، أو استنباط أو من باب التّدبر، فخطاب القرآن الكريم يتجه إلى البشرية كافة في كل زمان ومكان إلى قيام السّاعة، لا إلى جيل ومكان معينين، فينبغي عدم قصر دلالة آياته على حقيقة واحدة، فإن وجود حقيقة معينة في آية من آياته، لا يعني عدم وجود حقائق أخرى غيرها.

11- عدم التّكلف أو محاولة لي أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية.

12- عدم الدّخول في التّفاصيل العلمية الدّقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلم للآية أو الآيات القرآنية الكريمة، من مثل المعادلات الرّياضية المعقدة، والرّموز الكيميائية الدّقيقة إلا في أضيق الحدود اللّازمة لإثبات وجه الإعجاز، فالإشارات الكونية في القرآن الكريم صيغت صياغة مُجملة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، فلا ينبغي حشو وجه الإعجاز العلمي في الآية القرآنية أو الحديث النبوي بالتّفاصيل الدّقيقة للحقيقة العلمية، فهو تكلف مذموم لم تدل عليه الآية.

13- ألا يخرج عن القواعد المعتبرة في فهم النصوص وتفسيرها، والدّلالات اللّفظية المقررة في علم أصول الفقه.

14- التّوثيق العلمي للحقائق العلمية من مصادرها، وكثير ممن يكتب في الإعجاز العلمي ينقل بعضهم عن بعض دون الرّجوع إلى البحوث العلمية الأصلية.



15- التّريث والتّؤدة في إثبات كون القرآن دل على هذه المكتشفات الحديثة، لأنه ينبني على هذا، التّقوُّل على الله تعالى بأن هذه المكتشفات مراد الله تعالى في خطابه.

ب- شروط قبول الإعجاز العلمي.

1- الاعتماد على الحقيقة العلميّة القاطعة أو ما يسمّى بالقانون العلميّ، لا على الفرضيات والنظريات الاحتماليّة.

2- ثبوت الحقيقة علميا بشكل مستقر مع سلامة البرهنة عليها.

3- ثبوت وجود دلالة في النص على الحقيقة الكونية بشكل واضح جدًّا، وصحة الدّلالة دون تكلف أو تعسف في الاستدلال. بحيث لا يدخل التّأويل وتحميل الآية على الحقيقة العلميّة بصورة جبريّة، ممّا يُلجئنا إلى التّفسير المخالف للظاهر.

4- إظهار وجه الرّبط بين الحقيقة الشّرعية والحقيقة العلمية.

5- عدم معارضة مبدأ شرعي أو قاعدة من قواعد الدّين.

6- عدم مخالفة نص آخر سواء كان آية، أو المأثور الصّحيح عن الرّسول ﷺ، أو ما له حكم المرفوع، أو إجماع الصّحابة، ولو كانت الآية التي هي موضوع البحث محتملة لها من وجه ما. فإذا كان التّفسير العلمي يعارض مضمون آية أخرى، بحيث لا يكون هنالك من سبيل للجمع بينهما بأي قاعدة من قواعد تفسير النصوص، فإنه لا يكون مستساغا بل يتوجب رده.

7- موافقة السّياق وعدم اجتزاء النص عما قبله وما بعده، دون تكلف أو تعسف، ويرفض كل تفسير فيه إخلال بالسّياق والسّباق في الآيات والكلمات القرآنية.

8- موافقة اللّغة العربية موافقة تامة، بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللّغوي.

9- أن لا يطغى الإعجاز العلمي على المقصود الأول من القرآن الكريم وهو الهداية والإعجاز، وعلى بقية مباحث التّفسير. فإنْ أسرف المفسر واشتغل بتفريعات العلوم ونظريات الفنون الكونية، فإن الغاية تنعكس ويخرج عن حد التّفسير، بل يكون أشبه بكتب العلوم والفنون منه بكتب التّفسير، كما قيل في تفسير الرّازي: «فيه كل شيء إلا التّفسير». وكذلك قيلت هذه الكلمة في (تفسير الجواهر) لجوهري طنطاوي، فقد كان أقرب إلى كتاب في العلوم الطّبيعية والفلكية منه إلى التّفسير، فقد ملأ تفسيره بصور الحيوانات والنباتات والمناظر الطّبيعية، وتجارب العلوم، والنظريات الكونية، وما جاء عن أفلاطون في جمهوريته، وعن إخوان الصّفا في رسائلهم... وجعل هذا المسلك هو الصّائب دون غيره، وجعل الاهتمام بالعلوم الكونية من فرائض الدّين، فيقول: «يا ليت شعري: لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله



آباؤنا في آيات الميراث؟ ولكني أقول: الحمد الله، الحمد الله! إنك تقرأ في هذا التّفسير خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله، وهي فرض عين على كل قادر».

ومما زاد من نفور أهل العلم عن كتابه، تلك العبارات القاسية التي يرمي بها علماء الأمة السّابقين، والمفسرين المتقدمين فيقول: «إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجهلاء والمغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام. فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم».

ولهذا منع هذا الكتاب من الدّخول إلى أرض الحرمين الشّريفين.

10- ألا يترتب عليه تحويل الاستشعار التّعبدي إلى تمسك بالمادي، أو بمعنى آخر تحويل العبادة إلى عادة، مثال ذلك: التّفصيل في الفوائد الصّحية للصيام إلى درجة إخراجه عن مقصده التّعبدي.

ت- ضوابط الإعجاز العلمي:

الضّابط لغة: الضّابط مأخوذ من الضّبط، وهو لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، وضبط الشّيء: حفظه بحزم، والرّجل ضابطٌ أي حازمٌ، ويقال الضّابط: أي القويّ على عمله.

الضّابط اصطلاحاً: هو: «حكم كليٌّ ينطبق على جزئياته».

إنَّ القواعد والضّوابط التي وضعها العلماء للتفسير عموما هي نفسها القواعد التي تجري في مسألة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وهذه الضّوابط على نحوين: ضوابط عامة لا بدَّ من وجودها في جميع المناهج التّفسيرية، وضوابط خاصّة بنوع معين من أنواع التّفسير، ورغم الكم الكبير الذي كتب عن الإعجاز العلمي، إلا أنه لحد الآن في حدود اطلاعي لم توضع قواعد وضوابط خاصة به بالمعنى الحقيقي للقاعدة والضّابط، وقد حاولت جمع بعض ما ذكره الباحثون مما يشبه أن يكون ضوابط في هذا المجال:

1- **يستحيل التّصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية،** لأنهما من مشكاة واحدة، وما توهم من وجود تناقض، فهو من سوء فهم الحقيقة القرآنية أو الحقيقة العلمية، أو لهما معا، فالذي أنزل القرآن هو نفسه الذي خلق الكون، فلا يمكن أبدا أن يخلق الله شيئا ثم يتحدث عنه في القرآن بشكل يخالف حقيقته. فعندما نفهم الحقيقة الكونية ونفهم الحقيقة القرآنية فهما صحيحا فسوف نجد التّطابق التّام. وإن وجد تناقض أو اختلاف حقيقي بين الحقيقة العلمية وبين آية من آيات القرآن الكريم فهذا يعني أن الحقيقة العلمية فيها نظر، لأن العلم يجب أن يطابق القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:82].



2- **العلم تابع للقرآن، وليس العكس،** فالباحث في الإعجاز العلمي ينبغي عليه أن يقدم كتاب الله أولاً، ثم يبحث في كتب البشر ومؤلفاتهم وتجاربهم عن حقائق علمية تتوافق مع الحقائق القرآنية، فالقرآن هو الميزان وليست النظريات العلمية، لأنه لا توجد في العلوم التّجريبية حقائق مطلقة.

3- **يرفض كل تفسير علمي مخالف لظاهر القرآن،** إلا بقرينة تدل على أن الظّاهر غير مراد.

والمراد بالظّاهر: ما يتبادر إلى الذّهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السّياق وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه، ومعنى آخر على وجه آخر... وهذا المعنى مخالف للظاهر عند الأصوليين، حيث إنه في إطلاقهم هو ما يقابل النص.

قال مُحَمَّد الأمين الشّنقيطي: «والقاعدة المقررة في الأصول، أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه، إلا بدليل يجب الرّجوع إليه».

والتّفسير العلمي ليس واجب القبول، بحيث نعدل بسببه عما دل عليه ظاهر الكتاب الكريم، فالأصل في نصوص الوحي حملها على ظواهرها دون تحريف أو تعطيل، وينبغي أن يعتقد أن ظاهرها مطابق لمراد المتكلم بها، ولا سيما ما يتعلق منها بأصول الدّين والإيمان إذ لا مجال للرأي فيها، والإيمان بظاهر التّنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه، فلا يجوز مخالفة ظواهر النصوص القرآنية لموافقة العلم التّجريبي.

4- الحقيقة العلمية المخالفة لعقيدة أو معلوم من الدّين أو مبدأ شرعي، مردودة مهما كانت صحتها.

5- **لا يقبل التّفسير العلمي إذا كان مصادما لمقصد من مقاصد الشّريعة:** إذ ارتباط المقاصد بالقرآن هو ارتباط الفرع بأصله الذي به ثباته وقراره، فالشّريعة كما هو معلوم: كتاب وسنة واستنباط منهما، والمقاصد إدراك أهداف الكتاب والسّنة وغاياتهما في التّشريع. فلا يعقل إذن أن يقع التّصادم بين الفرع وأصله، كما أنه لا يتصور تفسير الأصل بما هو مناقض لهذا الفرع الذي هو عبارة عن مجموع الأهداف التي يرمي إليها هذا الأصل.

فمن فسر الأصل بما يناقض تلك الأهداف الثّابتة، كان قد رمى القرآن الكريم بالتّناقض والتّضارب، والقرآن الكريم بريء من ذلك.

ومقاصد الشّريعة: مجموع المعاني والحكم والأهداف التي راعاها الشّارع في التّشريع من أجل تحقيق مصالح العباد، وعلى رأس هذه المقاصد، الكليات الخمس المتفق عليها، وهي: حفظ الدّين، حفظ النفس، حفظ المال، حفظ العقل، حفظ النسب (النسل) أو حفظ العرض.

فالتّفسير العلمي إذا جاء مناقضا لمقصد من تلك المقاصد الأصلية، أو معارضا للمقاصد التّبعية، فإنه يكون مردودا مرفوضا، لأن المقاصد لا تتعارض مع أصلها كما سبق.



فما من نظرية تظهر مخالفتها لشيء من المقاصد الأصلية أو التّبعية التي قصد الشّرع إلى حفظها، فهي مردودة على أصحابها.

6- **يرفض كل تفسير علمي مصادم لقواعد اللّغة العربية:** لما كان القرآن كلاما عربيا كانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، وعليه فإنه يسلك في فهمه واستنباط المعاني منه مسلك العرب في فهمهم واستنباطهم.

فالقول الذي لا تسانده اللّغة في أي جانب من جوانبها؛ مردود.

وكل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللّسان العربي، فليس من علوم القرآن في شيء.

وقواعد العربية هي: مجموع علوم اللّسان العربي، وهي: متن اللّغة، والتّصريف، والنحو والمعاني والبيان...، ويلحق بها استعمالات العرب في كلامهم ووجوه مخاطباتهم.

7- **لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث:** قال الإمام الشّاطبي: «تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب». والمقصود بالقاعدة: أن بعض الألفاظ الواردة في القرآن ذات معنى تعارف عليه أهل العصر الذي نزل فيهم القرآن الكريم، ثم تعارف الناس بعد ذلك العصر على معنى آخر صار هو مدلول تلك اللّفظة عندهم، فلا يسوغ أن تُحمل تلك اللّفظة على المعنى الذي وجد عند المتأخرين، وإنما تفسر بما كان متعارفا لدى الجيل الأول.

فيجب أن يُفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر التّنزيل، قال ابن تيمية: «ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرّجل على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللّغة التي اعتادها».

ولا حجر في الاصطلاح ما لم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه، فيقع بذلك الغلط في فهم النصوص وحملها على غير مراد المتكلم منها، وقد حصل بذلك للمتأخرين أغلاط شديدة في فهم النصوص.

8- **يرفض كل تفسير علمي غير خاضع لقواعد التّفسير المتفق عليها:** مثل القواعد المتعلقة بأسباب النزول، ومكان النزول كالمكي والمدني، والقواعد اللّغوية والأصولية؛ كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، والمنطوق والمفهوم، والمجمل والمبين... وهي تشكل جزءا هاما من علم قواعد التّفسير وعلوم القرآن، ولذلك عنيت الكتب المخصصة لهذين الفنين ببيان تفاصيلها.

9- الإعجاز العلمي نوع من التّأويل، ولا يُصار إلى التّأويل إلا عند المقتضي له، ويلزم عندئذ إعمال القواعد المعتبره عند أئمة الأصول والتّفسير من مثل قولهم: العبرة بعموم اللّفظ. إعمال الكلام أولى من إهماله. لا عبرة بالظّن غير الناشئ عن دليل... وغيرها.



10- يفسر اللّفظ على حقيقته ما لم تكن قرينة تدل على المجاز.

11- إذا كان النص ظني الدّلالة والحقيقة العلمية قطعية، فهي من المعاني التي تحتملها الآية، أو أحد المرجحات لقول معين، وليست هي عين المراد وحدها دون غيرها من المعاني.

نماذج من الإعجاز العلمي

إنَّ المتأمل لأغلب ما يُذكَر من نماذج للإعجاز العلمي في القرآن الكريم يتبين له أنها في الأصل نماذج للتفسير العلمي، وهي أيضاً تفتقر إلى المنهج الصّحيح المعتمد على تطبيق ما ذُكِر من ضوابط الإعجاز العلمي، الخالي مِن التّهويل والإفراط والاسترسال من ذكر الحقيقة العلمية التي أشارت إليها الآية القرآنية، والقائم أيضاً على الأهلية العلمية للباحث في إظهار وجه الإعجاز العلمي للآية القرآنية.

والأمثلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كثيرة جدا، وبعضها صار مشهورا متداولا، مثل مراحل خلق الإنسان.

وهذه بعض النماذج التّطبيقية في شَتَّى الموضوعات والمجالات بحسب ما يسمح به الدّرس، جعلتها على قسمين: نماذج تطبيقية مقبولة. نماذج تطبيقية مردودة.

النماذج المقبولة:

تضمن القرآن الكريم إشارات قوية إلى كثير من حقائق علمية اكتشفت بعد نزوله بقرون عديدة، اهتم الباحثون بإبرازها وفق شروط وضوابط البحث في الإعجاز العلمي، لذلك لقيت قبولا لدى العلماء، بل كان بعضها سببا في إسلام بعض علماء الغرب، وأهم هذه البحوث وأوثقها؛ ما يصدر عن الهيئة العلمية للإعجاز العلمي، ذلك أنها بحوث محكمة تدرسها لجنة من العلماء والباحثين المتخصصين.

ومن نماذج الإشارات العلمية المقبولة:

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنعام:125]. في الآية تشبيه لحال مَن يريد الله ﷻ إضلاله بحال من يرتفع في السّماء، والشّيء المشترك بينهما (وجه الشّبه) هو ضيق الصّدر، وهذا صريح في أن الصّعود في السّماء يؤدي إلى الشّعور بضيق الصّدر، وهذا ما أثبته العلم الحديث، فكلما ارتفعنا في السّماء نقص الأكسجين وازداد ضغط الغلاف الجوي، وهو ما نشعر به فعلا عند ركوب الطّائرة.

النموذج الثّاني: قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾[النساء:56].

أثبت العلم الحديث أن الجلد هو مركز الخلايا الحِسِّيَّة عند الإنسان، وأن زواله وتلفه بالحرق

وغيره يؤدي إلى زوال الإحساس بالألم، فقد كشف علم التّشريح أن الجلد يتركب من ثلاث طبقات:

الطّبقة الخارجية (السّطحية) الرّقيقة، تسمى البشرة: وهي طبقة خالية من الأوعية الدّموية، وتقوم بحماية الجسم من التّأثيرات الخارجية والصّدمات. وهي أرق طبقات الجلد.

الطّبقة الوسطى (المتوسطة)، وتسمى الأدمة، وهي الجلد الحقيقي، تحتوي: أوعية دموية، وغدد عرقية، وبصيلات الشّعر، والنهايات العصبية المستقبلة للألم والشّعور بالحرارة والبرودة واللّمس وخلافه، كما أنها هي التي تحدد سمك الجلد في مناطق مثل: راحة اليد، وباطن القدم.

الطّبقة الدّاخلية (السّفلى) وتسمى النسيج تحت الجلد، وهي غنية بالنهايات العصبية المسئولة عن الإحساس بالضّغط لكنها فقيرة في مستقبلات الألم واللّمس.

وهكذا يتضح بالتّشريح الدّقيق للجلد وجود شبكة من الألياف العصبية، توجد بها نهايات عصبية حرة في طبقات الجلد، وتقوم هذه النهايات باستقبال جميع المؤثرات الواقعة على الجلد من البيئة الخارجية المحيطة به، من درجة حرارة، إلى رطوبة، إلى ضغط، إلى لمس، إلى ألم... الخ.

إن هذه المستقبلات الحسية المنتشرة في طبقات الجلد تستقبل المؤثرات البيئية الواقعة عليها طوال اليوم، ويتحول كل مؤثر (حرارة أو لمس أو ضغط أو كي أو غيرها) إلى نبضات كهربائية بداخل الأعصاب التي توجد هذه المستقبلات بأطرافها، وتنتشر وتنتقل هذه النبضات على امتداد هذه الأعصاب إلى الدّماغ (المخ)، وهو المركز الرّئيسي في الجهاز العصبي للإنسان، فتتم ترجمة المؤثر المستقبَل وبيان نوعه، وتحديد الاستجابة المناسبة تجاهه.

عندما يتعرض الجلد للإحراق فإنه يتألم، فإذا كان الحرق من الدّرجة الأولى (سطحي) تلتهب الطّبقة الخارجية للجلد وتحمر ويتورم الجلد، ويصحب هذا آلام موضعية شديدة نتيجة لتأثير الحرق في الألياف العصبية، وتحدث هذه الحروق . مثلاً نتيجة التّعرض فترة طويلة للشمس المباشرة ساعات الظّهيرة.

وإذا كان الحرق من الدّرجة الثّانية، يشتد الألم لدرجة أن الجسم يفقد من السّوائل ويتأثر ضغط الدّم الشّرياني وتتضرر الدّورة الدّموية، وقد يصاب الجسم بصدمة عنيفة. ويُلاحظ في هذه الدّرجة تكَوُّن أكياس مائية مختلفة الأحجام على البشرة، وقد تتمزق بسهولة، لتخرج سائلاً ملحياً، أو تنزف دما.

وإذا كان الحرق من الدّرجة الثّالثة (تحت الجلدي) فإن الحرارة الشّديدة للحرق تؤدي إلى حدوث تلف شديد للطبقات العميقة بالجلد والأنسجة المجاورة، وتؤدي أيضا إلى التّفحم الجلدي، واضطراب وظائف العظام والعضلات، كما تؤدي إلى تجلط بروتينات الألياف العصبية، وتكون النتيجة هي

توقف هذه الألياف عن العمل، أي: لا تكون قادرة على الإحساس بالمؤثر (الحرق)، وبالتّالي يتوقف شعور الإنسان بالألم...!!

والآية الكريمة جعلت عِلّة تبديل أهل النار جلدا جديدا هي: ليذوقوا العذاب، وهذا يدل على أن نضج الجلد يؤدي إلى خفة العذاب أو زواله، وهذا- بالإضافة إلى تخصيص الجلد بالعذاب في الآية دون اللّحم والعظام- يعني أن الجلد هو المسؤول عن الإحساس بالألم، ف (النضج) يدل على أن الشّيء قد بلغ كماله وذروته ونهايته، أي أن الجلد قد تلف وزال كليا، وهو ما يؤدي إلى زوال الإحساس بالألم، لذلك تبدل لهم جلود أخرى.

النموذج الثّالث: «ظاهرة الزّوجية: خلق الله ﷻ هذا الكون، والزّمه سنة ضابطة، وقواعد هادية وقوانين ثابتة، ومن بين هذه السّنن التي ثبتها الله ﷻ في هذا الوجود، وثبت الوجود بها: سنة الزّوجية، لقد حفل الكتاب العزيز بآيات عديدة تفصل القول وتوضحه في سنة الزّوجية، يقول ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[يس:36]، ويقول جل ثناؤه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذّاريات:47-49].

تقرر الآيتان السّابقتان وغيرها من الآيات الكريمة أن سنة الزّوجية سنة عامة وقاعدة شاملة لجميع الخلق، فكل شيء في هذا الكون- والإنسان شيء والحيوان شيء والنبات شيء، والجماد شيء، والأشياء متنوعة متعددة لا يعلمها إلا خالقها ﷻ- أُبدع على قانون أو سنة الزّوجية ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[يس:36]، فبناء الكون على قاعدة أو سنة الزّوجية آية من آيات الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:53]، ويجيء العلم الحديث المؤسس على الملاحظة والنظر والمشاهدة العلمية والتّجارب ليكشف عن جانب من أسرار هذه السّنة وهذا القانون الذي طبعه الله في الأشياء كلها، فقد اكتشف العلماء في مجال علم الأحياء بقسميه: عالم الحيوان، وعالم النبات، نظاما دقيقا؛ إذ اكتشف العلماء التّجريبيون أن كل شيء في هذين العالمين مبني على أساس زوجي ثنائي، فيتشابه الإنسان والحيوان والأسماك والطّيور والحشرات، وكل الكائنات الحية، التي أحيط الإنسان بها علما، والنبات بأنواعه وأشكاله في خاصية الزّوجية،

فلا يتم التّلقيح إلا إذا اجتمع العامل الذّكري بالجانب الأنثوي، إذ الزّوجية في عالمي الحيوان والنبات سنة إلهية، والسّنن الثّابتة لا تتبدل ولا تتحول، ولقد هيأ الله سبلا شتى ووسائل عدة لهذا الاجتماع الزّوجي، ففي النبات مثلا: تقوم الحشرات والنمل والنحل والفراش... بوظيفة هامة جدا في نقل اللّقاح، وكذلك الرّياح تقوم بنقل اللّقاح إلى مسافات ومساحات بعيدة جدا تدعونا إلى الدّهشة والإعجاب.

وسنة الزّوجية تتعدى الحيوان والنبات لتشمل الجماد أيضا: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذّاريات:49]، ففي عالم الكهرباء والمغناطيس مثلا لا يتم الفعل الكهربي ولا يقوم النشاط المغناطيسي إلا في ظل الزّوجية القائمة على السّلب والإيجاب، والتّفاعلات الكيميائية لا تتم إلا وفق الشّحنات الزّوجية، والذّرة مؤلفة من زوجين، وعندما شطرت هذه الذّرة وجد أن بها (الإلكترونات) التي تطوف حول (النواة) التي تحتوي على (البروتونات) السّالبة والموجبة.

وجملة القول: إن المخلوقات كلها- المادية والمعنوية- تبرز من خلال زوجين اثنين يعبر عنها في عالم الإنسان والحيوان والنبات بالذّكر والأنثى، وفي الجماد بالموجب والسّالب، وفي الأفكار بالصّواب والخطأ، وفي المشاعر لها متقابلات عديدة؛ كالرّضى والغضب، والسّرور والحزن، وفي القرآن تفصيلات وأمثلة هذه الزّوجية، منها:﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[هود:40]، ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[الرّعد:3]، ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذّاريات:49]، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[طه:53].

النموذج الرّابع: قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[النبأ:6-7].

قال مُحَّد الطّاهر ابن عاشور: «والأوتاد: جمع وتد، والوتد: عود غليظ شيئا، أسفله أدق من أعلاه، يدق في الأرض؛ لتشد به أطناب الخيمة". وقال ابن جزي: «شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد».

وشبه الجبال بالأوتاد للإخبار بأن للجبال امتدادات داخل قشرة الأرض، فكما أن للوتد جزءا ظاهرا فوق سطح الأرض، وجزءا منغرسا في باطن قشرة الأرض، ووظيفته تثبيت ما يتعلق به، فكذلك الجبال.

قال الشّيخ ابن عثيمين:«وهذه الأوتاد قال علماء الأرض إن هذه الجبال لها جذور راسخة في الأرض، كما يرسخ جذر الوتد بالجدار، أو وتد الخيمة في الأرض، ولذلك تجدها صلبة قوية لا

تزعزعها الرّياح، وهذا من تمام قدرته ونعمته».

وهذه الحقيقة التي أشارت إليها الآية القرآنية توصل إليها علماء الجيولوجيا مؤخرا في أبحاثهم ودراساتهم حول الجبال، فقد اكتشفوا أن للجبل جذرا يمتد تحت قشرة الأرض بما يعادل أضعاف ارتفاعه فوق قشرتها، وأن وظيفته تثبيت الأرض وحفظ توازنها، وهذا الحقيقة لم يتأكد منها الباحثون إلا في عام 1956م، كما ذكر الدّكتور فاروق الباز المختص في علم الجيولوجيا، بينما أخبر عنها القرآن الكريم قبل اكتشافها بقرون عديدة.

النماذج المردودة:

وفي المقابل نجد كثيرا من الأبحاث زعمت أن القرآن الكريم أشار في آيات إلى حقائق علمية سبق بها العلم التّجريبي، لكن هذه الأبحاث رفضت لمخالفتها شرطا أو أكثر من شروط وضوابط قبول الإعجاز العلمي، مثل مخالفتها للغة العربية، أو لما فيها من التّكلف ولَيّ النصوص حتى تتوافق مع الحقائق العلمية، وهذه بعض النماذج منها:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾[الرّحمن:33].

استدل كثير من المتسرعين في الأخذ بالتّفسير العلمي بهذه الآية الكريمة على قضية الصّعود إلى القمر، وفسروا السّلطان الوارد فيها بالعلم. وهذا الاستدلال مردود من وجوه:

1- أن سياق الآية يدل على أن هذا التّحدي يكون يوم القيامة ويظهر ذلك جليا لمن قرأ هذه السّورة من أولها، فإن الله ذكر فيها ابتداء خلق الإنسان والجان، وما سخر للعباد في آفاق السّموات والأرض، ثم ذكر فناء من عليها، ثم قال: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[الرّحمن:31]، وهذا الحساب.

ثم تحدى الجن بأنه لا مفر لهم ولا مهرب من أقطار السّموات والأرض فيستطيعون الهروب ولا قدرة لهم على التّناصر فينصروا وينجوا من المرهوب، ثم أعقب ذلك بذكر الجزاء لأهل الشّر بما يستحقون، ولأهل الخير بما يؤملون ويرجون، ولا شك أن السّياق يبين المعنى ويعينه، فرب كلمة أو جملة صالحة لمعنى في موضع ولا تصلح له في موضع آخر، وأنت ترى أحيانا كلمة واحدة لها معنيان متضادان يتعين المراد منهما بواسطة السّياق كما هو معروف في كلمات الأضداد في اللّغة. فلو قدر أن الآية الكريمة تصلح أن تكون في سياق ما خبرا لما سيكون في الدّنيا فإنها في هذا الموضع لا تصلح

له بل تتعين أن تكون للتهديد والتّعجيز يوم القيامة وذلك لما سبقها ولحقها من السّياق.

2- أن جميع المفسرين ذكروا أنها للتهديد والتّعجيز وجمهورهم على أن ذلك يوم القيامة...

3- أنه لو كان معناها الخبر عما سيحدث لكان معناها يا معشر الجن والإنس إنكم لن تنفذوا من أقطار السّموات والأرض إلا بعلم وهذا تحصيل حاصل فإن كل شيء لا يمكن إدراكه إلا بعلم أسباب إدراكه والقدرة على ذلك، ثم إن هذا المعنى يسلب الآية روعتها في معناها وفي مكانها فإن الآية سبقها الإنذار البليغ بقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[الرّحمن:31]، وتلاها الوعيد الشّديد في قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[الرّحمن:35].

4- أن دلالة الآية على التّحدي ظاهرة جدا:

أولا: لما سبقها ويتلوها من الآيات.

ثانيا: أن ذكر معشر الجن والإنس مجتمعين معشرا واحدا يعتبر قريبا من مثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:88].

ثالثا : أن قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ ظاهر في التّحدي، خصوصا وقد أتى بـ (إنْ) دون (إذا) التي تدل على وقوع الشّرط، بخلاف (إنْ).

5- إنه لو كان معناها الخبر لكانت تتضمن التّنويه بهؤلاء والمدح لهم حيث عملوا وبحثوا فيما سخر الله لهم حتى وصلوا إلى النفوذ وفاتت النبي، وأصحابه الذين هم أسرع الناس امتثالا لما دعا إليه القرآن.

6- أن الآية الكريمة علقت الحكم بالجن والإنس ومن المعلوم أن الجن حين نزول القرآن كانوا يستطيعون النفوذ من أقطار الأرض إلى أقطار السّماء كما حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن:8-9].

فكيف يعجزهم الله بشيء كانوا يستطيعونه، فإن قيل: إنهم كانوا لا يستطيعونه بعد بعثة النبي، قلنا: هذا أدل على أن المراد بالآية التّعجيز لا الخبر.

7- أن الآية علقت الحكم بالنفوذ من أقطار السّموات والأرض ومن المعلوم أنهم ما استطاعوا ولن يستطيعوا أن ينفذوا من أقطار السّموات مهما كانت قوتهم.

8- أن الآية الكريمة أعقبت بقوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرّحمن:35]، ومعناها والله أعلم إنكم يا معشر الجن والإنس لو حاولتما النفوذ من ذلك لكان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس والمعروف أن هذه الصّواري لم يرسل عليها شواظ من نار ولا نحاس فكيف تكون هي المقصود بالآية.

9- أن تفسيرهم السّلطان هنا بالعلم فيه نظر فإن السّلطان ما فيه سلطة للواحد على ما يريد السّيطرة عليه والغلبة ويختلف باختلاف المقام فإذا كان في مقام العمل ونحوه فالمراد به القوة والقدرة ومنه قوله تعالى عن إبليس: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[النحل:99-100]، فالسّلطان في هذه الآية بمعنى القدرة ولا يصح أن يكون بمعنى العلم، ومنه السّلطان المذكور في الآية التي نحن بصددها فإن النفوذ عمل يحتاج إلى قوة وقدرة والعلم وحده لا يكفي وهؤلاء لم يتوصلوا إلى ما ذكر عنهم بمجرد العلم ولكن بالعلم والقدرة والأسباب التي سخرها الله لهم، وإذا كان السّلطان في مقام المحاجة والمجادلة كان المراد به البرهان والحجة التي يخصم بها خصمه ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[يونس:68]. أي من حجة وبرهان، ولم يأت السّلطان في القرآن مرادا به مجرد العلم. والاشتقاق يدل على أن المراد بالسّلطان ما به سلطة للعبد وقدرة وغلبة.

فتبين بهذا أن الآية الكريمة لا يراد بها الإشارة إلى ما ذكر من السّفن الفضائية وإنزالها إلى القمر وهذه الوجوه المذكورة في الرّد؛ منها ما هو ظاهر ومنها ما يحتاج إلى تأمل.

النموذج الثّاني: التّفسير العلمي الاجتماعي في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت:41].

قالوا: إن العنكبوت تقتل زوجها، فبيتها ضعيف لهذا السّبب، وفسروا بهذا الآية الكريمة المذكورة. والسّياق القرآني يأبى ذلك، ولذلك جاء تفسير الصّحابة موافقا لما يظهر من السّياق، إذ إن الله تعالى ضرب مثلا لضعف آلهة المشركين عن حمايتهم- وهم يحتمون بها ويلوذون بجنابها- بالعنكبوت التي بنت بيتا ونسجته، ولكنه أضعف البيوت، فلا يقوى على حمايتها من الأذى والاعتداء، ومع هذا فهي تحتمي به، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ

ﭐلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[العنكبوت:41].

فالذي ينبغي أن يقال في تفسير هذه الآية: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي آلهة، يعني: مثل من أشرك بالله الأوثان في الضّعف وسوء الاختيار ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتًا﴾: أي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من البيت، فإن ذلك البيت لا يدفع عنها الحر والبرد، ولا يقي مما تقي البيوت، فكذلك الأوثان لا تنفعهم في الدّنيا والآخرة، ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ لا بيت أوهن من بيتها.

وعلى هذا فالنظرية العلمية الاجتماعية التي ذكروها قد تكون صحيحة في نفس الأمر، ولكنه لا يجوز تحميل كلام الله ما لا يحتمله.

النموذج الثّالث: تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾[نوح:13-14]. وفقا لما جاء في نظرية التّطور.

قال بعضهم: «تدل الأبحاث العلمية في خلق الإنسان أنه كانت هناك قبل ظهور آدم صور وصنوف من المخلوقات جاء الإنسان ذروة لها في التّكوين والتّقويم، ويقول القرآن عن الله أنه هو ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:50]، أي أنه هدى سيرة التّطور حتى بلغت ذروتها في نوع الإنسان المتفوق، وذلك بعد أن مر بالإنسان قبل وجوده حين من الدّهر لم يكن شيئا مذكورا، ونظرية التّطور في خلق الإنسان أصبحت حقيقة ولها براهين تؤيدها»[1].

والتّفسير الصّحيح لهذه الآية أن يقال: (وقد خلقكم على أطوار مختلفة، فكنتم نطفة في الأرحام، ثم علقة، ثم مضغة، ثم كسا عظامكم لحما، ثم أنشأكم خلقا آخر، وقد ذكرت هذه الأطوار في سور كثيرة، كسورة غافر، والمؤمنون والحج).

إن تفسير الآية بما يوافق النظرية الدّاروينية محادة صريحة ومناقضة ظاهرة لآيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[التين:4]. ومن المعروف أن (ال) في (الإنسان) للجنس، أي إن الله تعالى أبدع جنس الإنسان في أحسن تقويم.

ثم إن التّفسير المذكور يخالف صراحة ما ذكره الله تعالى في آية الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن

[1] إبراهيم محمّد إسماعيل، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، د.ت، ص9.

يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[الحج:5].

النموذج الرّابع: الاستدلال على كروية الأرض بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[الزمر:5].

وبِغَضّ النظر عن صدق هذه النظرية، فإن الاستدلال لها بمثل هذه الآية فيه تكلف كبير، وبُعد عن مرامي العرب في كلامهم، فالمعنى الصّحيح: أنه يكور اللّيل على النهار والعكس؛ بإذهاب أحدهما وتغشية الآخر مكانه، كأنما ألبسه ولف عليه.

النموذج الخامس: الاستدلال على صحة نظرية تفتت الذّرة وتحطمها، بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[يونس:61].

زعم هؤلاء أن الآية تشير إلى أنه بالإمكان تجزئة الذّرة وإيجاد أجزاء صغيرة لها، وبذلك ليست الذّرة أصغر جسم، وهذه النظرية لم تكتشف إلا في القرن العشرين.

إن حمل لفظ (الذّرة) في الآية الكريمة على مصطلح حادث وضعه علماء الفيزياء؛ يعتبر خروجا عن لغة القرآن الكريم، وخروجا عن المعنى الذي يفهمه كل عربي من لفظ الذّرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:40].

قال ابن الجوزي: «وفي المراد بالذّرة خمسة أقوال: أحدها: أنه رأس نملة حمراء... والثّاني: ذرة يسيرة من التّراب... والثّالث: أصغر النمل... والرّابع: الخردلة، والخامس: الواحدة من الهباء الظّاهر في ضوء الشّمس إذا طلعت من ثقب... واعلم أن ذكر الذّرة ضُرب مثلا بما يعقل، والمقصود أنه لا يظلم قليلا ولا كثيرا».

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة الإلكتروني للنشر الحاسوبي.

1- اتجاهات التّفسير في القرن الرّابع عشر، فهد الرّومي.

2- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

3- أصول الدّين، عبد القاهر البغدادي.

4- الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي.

5- البرهان في علوم القرآن، الزركشي.

6- البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، ط3، 1992م.

7- تاج العروس، الزبيدي

8- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، عبد المجيد الزّنداني وآخرين.

9- التّعريفات، الجرجاني مُحَّد بن علي.

10- التّفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد عمر أبو حجر.

11- التّفسير العلمي للقرآن، لعبد الله الأهدل.

12- التّفسير معالم حياته ومنهجه اليوم، أمين الخولي.

13- التّفسير والمفسرون، للذهبي.

14- الجواب الصّحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية.

15- حقائق علمية في القرآن الكريم، زغلول النجار، بيروت، دار المعرفة، ط4، 1429هـ-2008م.

16- دراسات في علوم القرآن.

17- دلائل النبوة.

18- الرّوض الأنف، السهيلي.

19- السنن، التّرمذي.

20- شرح السّنوسية الكبرى.

21- شرح العقيدة الطّحاوية، العز ابن عبد السلام.

22- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني.

23- الفِصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم.

24- فصول من السّيرة.

25- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ط2، 1400هـ-1980م.

26- القرآن وإعجازه العلمي، إبراهيم مُحَّد إسماعيل، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، د. ت. ط.

27- اللآلي الحسان في علوم القرآن، موسى لاشين.

28- لسان العرب، ابن منظور.

29- لمحات من علوم القرآن لمحمد لطفي الصّباغ.

30- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ-2000م.

31- المجموع شرح على مسلم، النووي.

32- محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد القدري.

33- المسند، أحمد بن حنبل.

34- مفاتيح الغيب، الفخر الرّازي.

35- المقدمة، ابن خلدون.

36- مناهل العرفان، الزّرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط3.

37- النبوات، ابن تيمية.